الفرائد والحكم

للشيخ الأديب

خالد بن إبراهيم المجحوني

جمع وإعداد

أبو عمار الأزهر عيساوي

قدم له

الدكتور محمد مصطفى الكنز

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفرائد والحِكم

للشيخ الأديب

خالد إبراهيم المحجوبي

جمعها وأعدها

أبو عمار الأزهر عيساوي

قدم لها

الدكتور محمد مصطفى الكنز

الطبعة الإلكترونية الأولى

٢٠١٧م

تونس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

البقرة٢٦٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقدمة الدكتور محمد مصطفى الكنز

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد

فإن من طبع النفس أن تتشوَّف إلى نيل حظِّها من اللذّة، وما قُدِّر لها من المتعة، وطريقُ ذلك عند أولي النظر الائتلافُ بالكلام الطيب، والائتناسُ بدُرر الأقوال، والاستبصار بفرائد الحكم .

وقد صار من عادتي إذا عَرَضَ لي عارضٌ مما يقلق الفؤاد عن سيرته الأولى، أو يشغلني عن تفقُّد روحي، وملاحظة أحوال نفسي، أو إذا استغرقني حجابُ الغفلة، وكثافة المادة – صار من عادتي أن أهرع إلى معين الحكمة، قاصدًا نميرَها العذب؛ لألقي بكلكلي[1] فيه، خلاصًا مما أجد، وفرارًا مما أعاني، هناك أغسل عن روحي ما علق بها من أشواك تلك الحياة، وغبار هذه الدنيا، هناك أجد التوفيق نحو السعادة، وألمح وجه الرضا .

وما أحوج المرءَ إلى من يضيء في قلبه مصابيح الجمال، ويفجِّر في أعماقه ينابيع الخير، ويمسح عنه ما ران من صدأ، ويأخذ بيده إلى مرفأ الأمان، وواحة اليقين !!

وآيةُ أن يسلكك الله في محبته أن ينظمك في عقد أهل وُدِّه، من العلماء والصالحين، الذين نَصبهم لعباده صُوًى[2] تُقصَد، ومنارات يُهتدَى بها، وجعل عندهم مفاتيح حكمته، وقلائد أسراره.

ولا ريبَ أن أنظار العلماء تتفاوت في إدراك هذه الحكم، والوقوفِ على تلك الأسرار، تفاوتَهم في الأرزاق والآجال، ومن جميل أقوال بعض ساداتنا : " للكلام حظوظٌ كحظوظ الرزق ".

---

[1] الكلكل:الصدر-القاموس المحيط-

[2] الصُّوى:أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي و المفازة المجهولة يُستدل بها على الطريق و على طرفيها....-لسان العرب

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الحروف ما يكاد يضيء من غير زيت، وليس عندي شك أن حرف أبي تميم خالد المحجوبي يصدُق عليه هذا الوصف، فهو إذا رنَّ في غشاء القلب تركه هشًّا، وإذا خلَّى عنه استحال بشًّا، وإذا تجلَّى للنفس، أبان عن حسٍّ مرهف، وحاشيةٍ رقيقة، وخاطرٍ جيَّاش!!

ما بالُك - أيها القارئ الكريم - بحرف يتسمَّتُ آثارَ الأقدمين؛ حيث مساقطُ الجمال، ومنازلُ الأبَّهة، ومدارجُ الروعة، فإذا قلبُك مصغٍ لمدبِّ أقدام الحُسْن، وإذا روحك تترنَّمُ على وَقْع خَطْوه ؟!

حرفٌ يبدو لك قريبَ المرأى، فإذا هو بعيد المنال، ورحم الله أبا الطَّيِّب :

بيضاءُ تُطْمِعُ فيما تحت حُلَّتها وعَزَّ ذلك مَطْلوبًا إذا طُلِبا
كأنها الشمسُ يُعْيِي كفَّ قابضِه شُعاعُها ويراهُ الطَّرْفُ مُقتَرِبا

حرفُ المحجوبي فيه نجدةٌ للنفوس، وعزمةٌ لأبناء العربية، ونهضةٌ للأمة، حرفٌ يربِّي ويعلِّم، يُرقِّي ويُنقِّي، يعطي ويمنح، ومن كانت يدُه يدَ عطاء، أبدًا لا تكون يدَ أخذ !!

وأخي أبو تميم - حفظه الله - رجل لم نره كفاحًا، وإنما صحبناه عبر الواجوه (الفيسْبُك)، رأيناه هناك من خلال أكتوباته التي يُثْريها على صحيفته، فإذا هي خير مرآة له، دقةَ ألفاظ، ووضوحَ فكرة، وهذا دليلُ عقلٍ راجح، وآيةُ تفكيرٍ ناضج، وبرهانُ ذهن اعتملتْ فيه الرؤى والأطروحات اعتمالًا منتِجًا .

وقد انتسج بيننا من صادق الودِّ ما لا يغيِّره تنائي الديار، أو يزعزعه عدم اللقيا، ورحم الله جعفر بن محمد - عليه السلام - إذ قال : "صحبةُ عشرين يومًا قرابة " !!

وقد قرأتُ بعضَ هذه الفرائدِ تفاريقَ، قبل أن تحويها دَفَّتا هذه الإضمامة البهيّة، حتى إذا دُفعتْ إليَّ مجموعة لأنال شرف التقديم لها، شكرتُ لأخي أبي تميم حُسنَ الظن بي، ووجدتُ عمله ينهض بنفسه دون حاجة إلى تقدمةٍ من رجل مثلي، لكنها عين الرضا، حين رآني بها !!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والحق أن أبا تميم قد أحسن إليَّ، حين خلَّى بيني وبين هذه الحظيَّة المتفرِّدة، لقد جعلني أتقلَّب بين لفظٍ مُتْرعٍ بالفخامة، ومعنًى مُشعٍّ بالمهابة، ومقالةٍ يكمن بين طيَّاتها الطريقُ اللاحب إلى زوايا النفس، والسبيلُ البصيرة إلى خبايا الروح.

لك الشكر أبا تميم إذ خلَّيْتَ بيني وبين حوراء رماها اللهُ بالحسن، ومن أي الجهات جئتُها تنفَّستُ عَبقًا يحيي الموتى، وشَذرني بهاءٌ بحجم هذا الكون !!

ولا ينظم اللهُ في سلك الحكمة إلا المصطفين الأخيار، "**ومن يُؤتَ الحكمةَ فقد أُوتي خيرًا كثيرًا**"[٣]، ولا سبيل إلى نيل هذه المنزلة إلا بحضور القلب، وفراغ النفس، وصحَّة القصد، وإنعام النظر تأمُّلًا وتدبُّرًا، حتى تنعكس على مرآة الذات لُمَعٌ وخَطراتٌ، بحسب ما تَسْنح به الحال، وتجود به الفكرة، ويُمْكن منه الوقت .

ولما كانت الحكم خلاصة نفس، وعصارة تجربة، يَسْبِكُها بليغُ القول ومُختصَرُه – كان دون فَهْمها فَلْيُ النَّفْس، وكَدُّ الخاطر، وقد عمد أبو تميم – حرس الله مهجته – إلى شرحها شرحًا وافيًا، يُقرِّب بعيدها، ويُسهِّل حَزَنها، ويُذلِّل ما تَجانف منها .

أيها القارئ الكريم، إذا سرَّك أن تُلقي عن كاهلك أثقالَ الحياة، وأدرانَ هذه المدنيَّة الكؤود – فدونك ذاك النبع البجيس، ففيه مُغتسَلٌ باردٌ وشراب !!

والحمد لله رب العالمين

حُرِّر في الكويت، يوم الجمعة، العشرين من جمادى الأولى ١٤٣٨هـ، الموافق السابع عشر من فبراير ٢٠١٧ م .

وكتبه

د . محمد بن مصطفى الكَنْز

المشرف العام لمركز فصحى للاستشارات اللغوية

[٣] البقرة ٢٦٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقدمة المصنّف

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا الأمين ،ونجله المطهّرين، وصحبه المخلصين.

أما بعد:

فهذه أضابير مسطورة انطوت على قدر من مختارات الحكم، والسوانح والعبارات التي سال بها مداد قلبي وعقلي؛ في مواطنَ متفارقة،وأماكن متباينة،وأزمانٍ متنائية . وقد رأى فيها بعض أهل العلم والفضل خيراً فاقترحوا أن أنشرها؛ فتلبّثتُ وتريّثتُ، وأحجمتُ عن ذلك، إلى أن جدد الطلب إليّ الفاضل المكرّم أبو عمار الأزهر عيساوي؛ واستأذنني في تجميع مشتَّتِها، وتنضيد مُشعَّثِها؛ فأذنتُ بذلك رجاء أن ينبط منها نفع لمنتفع، أو خيرٌ لمستخير، وقد شفعتُها بشروح موجزة ؛ تُدمّث بعض متصلِّبها، وتفكِّك بعض مستغلِقها.

وهي –كما ستبصرون - لم ترتبط بموضوع مفرد، ولم تعتلق بمناط محدد، بل جاءت حلقاتها وفقراتها متزيلّةً بعضُها عن بعض، على المستوى المعنوي، والمستوى اللفظي. لكنها لم تخرج بمجموعها عن ساحات الحكمة ، والنصح ، والاعتبار .ولست أسبك نفسي بين أهل الحكمة وأربابها ، إني إذاً قد هَدرْتُ سَقْباً ، وطِرتُ شكيراً.ولا سيما أن كثيراً من مادة هذا الكتاب كنت قلتها وقت الطلب في المرحلة الجامعية،ومما عليّ قولُه هنا: إنني إنْ خفيَتْ سريرتي عن غيري، فإني لست بغافل عما لا تعلمون ، ولولا أنَّ بعض الفضلاء أشاروا وألحُّوا علي ؛ لإخراج هذا العمل ، ما كنت من الفاعلين. فإني لستُ ممن جرّسه الدهر ، ولا حنّكه الزمان، ولا أنا من أرباب البصيرة. لكن الشأن –كما قلتُ يوماً:

وإنيَ إنْ تحاسنتِ الظنونُ فلستُ ببالغٍ ما تأملونا

وأحسبُني أقول الخير محْضاً فأقْصُرُ دونه أو تكملونا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فاللهم اكتب لنا من أفضالك ما يصاحب مستور نوايانا ، واقسم لنا من أنوالك ما يصاقب مكنون خفايانا ، واجعلنا عند حَسِين ظن الناس بنا، وأدِم انسدال أستارك على كثبان معايبنا، وسَرْمِدْ حضور ألطافك على تخوم مصايبنا.

كتبه: أبو تميم : خالد بن إبراهيم المحجوبي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بين يدي الكتاب

مقدمة جامع الكتاب ومخرجه

الحمد لله المنفرد بالقدم والبقاء،وبالمجد والسّناء[٤]،المرتدي بالعز ة والكبرياء،يؤتي العلم من يشاء،ويمنعه من يشاء،سبحانه من عزيز،له الإعادة والإبداء،وإليه المصير والانتماء.نحمده حمد من استغزرت لديه الآلاء،وعمته النعماء،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.[٥]

أما بعد؛

فإني لما رأيت أن أعمالي البسيطة في الجمع والتنسيق قد حظيت بقبول لدى المشايخ وطلبة العلم بداية بـ"التذكرة في علم مصطلح الحديث"[٦] وانتهاء إلى "المختار من التعليقات على آخر ما للطريفي من تغريدات"،حيث علق عليها[٧] مشايخ فضلاء وعلماء أجلاء.سارعت إلى جمع بعض الحِكم والفرائد لشيخي خالد إبراهيم المحجوبي، واستأذنته في نشرها في كتيب؛فأذن لي مشكورا . بل كان من تواضعه -حفظه الله- أن أرسل إلي مادة الكتيب. فكان جهدي منحصرا في جمع وتنسيق الكتيب، ووسم بعض العناوين ،كما شرحت بعض الكلمات التي ربما تشكل على بعض القارئين. ولما فرغت منه عرضته على اللغوي البارع الدكتور محمد مصطفى الكنز ،لأجل تقديمه لهذا العمل

---

[٤] من المجد و الشرف –لسان العرب-

[٥] من مقدمة كتاب المذهب في ضبط مسائل المذهب لابن راشد القفصي.ت د.محمد بن الهادي أبو الأجفان ط.دار ابن حزم

[٦] رسالة للمبتدئين أعدها الشيخ المحدث عبد الرزاق المهدي الدمشقي عندما كان يدرس بتونس و هي الآن مطبوعة بعد أن ضبط نصها و علق عليها أخي و شيخي علي العلايمي حفظه الله و قدم لها كل من الشيخين الجليلين طه بوسريح التونسي و الشريف الحسن بن علي الكتاني حفظهما الله.

[٧] كتيب ضم بين دفتيه دررا من درر الشيخ عبد العزيز الطريفي فك الله أسره علق عليها كل من الشيخ خالد إبراهيم المحجوبي و الشيخ محمد فال السيد الشنقيطي و الشيخ الشريف الحسن بن علي الكتاني و الشيخ محمد حمدي حفظهم الله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأجابني لطلبي هذا فجزاه الله خيرا.وإن غايتي من هذا العمل بعد رضى الله عز وجل، هي نشر علم مشايخي الكرام، وإفادة طلبة العلم من خلال جمْع المتفرق وتقريبه لهم في حلة مرضية .آملا من الله عز وجل أن يُبقي أثر هذه الأعمال من بعدي تعويلا على قوله صلى الله عليه وسلم:"**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية،أو علم يُنتفع به،أو ولد صالح يدعو له**"[٨].فاللهم تقبل منا.

كتبه أبو عمار الأزهر عيساوي

غفر الله له ولوالديه وأهله ومشايخه وجميع المسلمين

[٨] أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم ١٦٣١كتاب الوصية،باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفرائد والحكم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

احذر من نفسك

إذا أعجبتك نفسُك، وتَورَّمتْ ثقتُك بها ، واتَّسعتْ أحداقها، وانفَغَرتْ أشداقُها. وأبصرتَها نحو سُوحِ[٩] الغرور تُجرْجِرك، وصوب سُفوح التعالي تعتلي بك، فاعلم أنها إلى حتفك ستُقَرّبك، وإلى هلاكك ستَخِرُّ بِك .

شرح

من حق الإنسان أن يحسن إلى ذاته ، وأن يكون معجباً بنفسه إعجاباً مقتصداً ما لم يجره ذلك إلى تخوم الغرور وساحة الكبر، حينها يقع في هوة محذورة، ودركة منكرة، فالإعجاب البريء الفطري ليس منكراً ولا محرماً، إلا إذا تطور إلى ما ذكرته، لذلك قلتُ آنفاً: "وتورمت ثقتك بها" إي تضخمت وانتفشت إلى قدر جاوز الحد الطبيعي الفطري . فإن كان من الإنسان هذا؛ فقد أوبق نفسه في مهلكة حذّر منها نبينا الكريم فيما خرجه المنذري في الترغيب والترهيب من رواية أنس بن مالك:"**وأمَّا المُهْلِكاتُ فشحٌّ مطاعٌ وهَوًى متَّبعٌ وإعجابُ المرءِ بنفسِهِ**".

[٩] جمع ساحة –القاموس المحيط-

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إقبال الدنيا وإدبارها

حين تُقبل الدنيا إليك ، فاذكُر إدبارها عنك؛ كي لا يجرفك الإقبال. وحين تدبر عنك ،اذكُر إقبالها إليك؛ كي لا يُقنِطكَ الإدبار. فمن نسي الإقبال حين الإدبار احتوشَهُ القنوط ، ومن نسي الإدبار حين الإقبال ؛ أغرقته الغفلة.

شرح

معهودُ سلوك الناس ، أن يغفلوا عما هو مغيّب عنهم، وغير حالٍّ بهم، وأن ينشغلوا إغراقاً وإفراطاً بما هم فيه من ضيرٍ أو خير، وهذا من علامات الغفلة وسوء التدبير، فإقبال الدنيا يكون خيراً في ظاهره ، بيد أنه يشتمل على خطر الانجراف بسيل مفاتنها ، والانطماس بحمولة زينتها، مالم يجعل الإنسان أمامه صورة إدبارها، واحتمال انقلابها، وزوال بهجتها، مما قد يحيق به في أي وقت من أوقات حياته الرضيّة ذات الهناء والبُلهنية[١٠]. لاجرم أن الناس حين يُبتلون بنصَب العيش وعسر المعيشة بإدبار الدنيا عنهم، ينشغلون بما هم فيه من ضنك وكبد ، فمن أدبرت الدنيا عنه وكابد مشقتها، عليه أن يُصاحب دوام الأمل في تغير الحال ، وأن يصاقب دائماً حسن الظن بالله، بتوقع الخير والفرج، فإنه إن أغرق نفسه في حزنه وفارقه الأمل؛ فلا ريب أنه واقع لا محالة في شرك القنوط، وحُبالة اليأس. ولْيذكرْ قول ربنا على لسان نبيه يعقوب ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[١١]

---

[١٠] سعة العيش –لسان العرب-

[١١] يوسف:٨٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المتشبّع بما لم يُعط

دأب الإنسان (المتشبّع بما لم يُعطَ) على أن يرقّع خرائق نفسه ، برقائع وهمه ، ويُبهج قلبهُ بنَتاج غيره، وهو – لابد - في عَوزٍ إلى ما يسدّ خلله ، ويهْزُ عِلله، ويرأبُ صدعه، ويرفأُ شقّه. فهو -لعمري- أعمق الناس خللاً، وأعوصهم عللاً، وأعمقهم صدعاً، وأوسعهم شقًّا . ثُمَّ هو في غفلة عن أنَّ كل ما يراه ساتراً هو في واقعه موغلٌ في الفضح ، ومغرقٌ في الكشف، ومفحشٌ في الهتْك ، ومحْضجٌ إياه في ضحضاح الوهم ، حتى يحور ذاهلاً عن حقيقة ذاته، وواهلاً من منفضِح لذَّاته، التي هي في واقعها مناتن تكسوها مفاتن .

شرح

هنا وصفت نوعاً من الناس جمع أكثر من صفة مشينة، كل منها تكفي -منفردة- لوصفه بالسوء . وهو المتشبع بما لم يُعطَ ، وهو كل إنسان اجتمع فيه النفاق مع الكذب، مع الغرور، وهو الذي يُظهر من نفسه ما ليس فيها ويدعي لها من الخير ما ليس لها، إنما يسرق فضائل غيره ليسبغها زوراً على نفسه، ويدعي إحسان الآخرين لينسبه كذبا إلى ذاته.وقد ورد عن سيدي رسول الله في شأن هذا حديث بليغ صريح هو ما خرجه مسلم، وابن حبان،وأبو داوود في سننه من حديث أسماء مرفوعاً:" **المتشبّعُ بما لم يُعطَ كلابسِ ثوَبْي زورٍ** "[١٢]. فقد جمع هنا كذبتين هما ثوبا الزور ، فالأولى ادعاؤه ما ليس له، والثانية تركه العمل بما أظهر وادعى. كمن يدعي فعل خير فعله غيره،

[١٢] البخاري٥٢١٩ و مسلم ٢١٢٩ و أبو داود ٤٩٧٧ و أحمد ٢٥٣٤٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهو بهذا ادعى فعل شيء لم يفعله أصلاً ، وكذب في ادعاء الفعل.
قال الزمخشري في "الفائق" :"المتشبع: " أي المتشبه بالشبعان وليس به واستعير للتحلي بفضيلة لم يرزقها وشبه بلابس ثوبي زور أي ذي زور وهو الذي يتزين بزي أهل الصلاح رياء ". وعند النووي في"شرح مسلم": " قال العلماء معناه المتكثر بما ليس عنده بأن يظهر أن عنده ما ليس عنده؛ يتكثّر بذلك عند الناس ويتزين بالباطل فهو مذموم كما يذم من لبس ثوبي زور".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من شر خلق الله

شرُّ ما خلق الله المتفيهق المئرِج[١٣] . مَن كلامه زورٌ وحديثه بهرج[١٤] .فهجّيرهُ أرُّ الإرّة[١٥]، ونفجُ الأُربة؛وميداءُ وطَرِه[١٦] قصفُ الألفة، وتأريث الأتاتين[١٧]، واجتثاث الأُدم[١٨] بين العالمين. حتى لكأنّهُ سائمةٌ تأرِمُ[١٩] من جِنان الناس ما زرعوا، أو سَنةٌ أرِمةٌ[٢٠] لا تبقي ولا تذر .

شرح

خلق الله تعالى خلقاً من عباده هم شرٌ محض، وبلاء خالص ،ابتُلي به الناس، وحاقت بهم منهم صنوف الأذى، وضُروب الضِرار. وهنا ذكرتُ صنفاً مؤذياً جمع من أشنع وأبشع صفات المفسدين، ذلك هو الذي سكن الشرّ نفسه، واستوطن الكذب لسانه، وصار دأبه ومسعاه قائماً على زرع الفتنة بين الناس، وغاية مقاصده تأجيج نيران العداوة بينهم،وقصف روابط الألفة وسطهم، وشبهته هنا بالدابة التي تأتي على زرع القوم فتتلفه، وبالعام المجدب المقحط الذي يحرم الناس من أرزاقهم،ويعكر عليهم هناءهم، فيتحول حالهم إلى شقاء ونصب.

---

[١٣] المئرج الشرير

[١٤] البهرج أي المزيف

[١٥] أرُّ الإرة أي إيقاد النار، و المراد هنا نارالفتنة بين الناس

[١٦] ميداء وطره أي أقصى غايات مراده و سعيه، و الكلام عن الشرير المفتّن

[١٧] تأريث الأتاتين ، التأريث الإيقاد ، و الأتاتين جمع أتون أي التنور، و المراد إيقاد الشرور و العداوات بين الناس

[١٨] الأُدم بمعنى الألفة

[١٩] سائمة تأرم أي دبة تتلف الزرع

[٢٠] السنة الأرمة هي العام المقحط

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشرف

ليس أشرف من ماء السماء ، إلا ماء الوجه .

شرح

أعني بماء الوجه -هنا- العرق الذي ينضح به وجه الإنسان حين يمر بحالة هوان وإذلال، ويستعمل كثيراً بمعنى الكرامة والكبرياء، فإراقة ماء الوجه تقتضي المذلة، وجرح الكبرياء . لذلكم كانت كرامة الإنسان وشرفه أغلى وأطهر من أي غال وطاهر. وقد كان من شريفات نصائح النبي صلوات الله عليه أن يجتنب المسلم إذلال نفسه، ذلك فيما خرّجه البيهقي بسنده في شعب الإيمان،والترمذي في سننه كلاهما من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً:" **لا ينبغي للمؤمن أن يُذل نفسه،قالوا : يا رسول الله وكيف يذل نفسه؟ قال : أن يتعرض للبلاء لما لا يطيق** "[٢١]

[٢١] الترمذي ٢٢٥٤ و ابن ماجه ٤٠١٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجاهل

ليس بجاهل من يخطئ، بل الجاهل من لا يُعلِّمه خطؤه.

شرح

من معهود تصاريف الدنيا ، انطواء المِنَح في المحَن، واستخفاء الخير في الضير، حتى إن الرجل من بني آدم يفْجؤه ما يسرُّ ، حين يوقن بوقوعه في الضّر، بعدما ظنّ كل الظن أن لا ندحةَ للفرَج. وفي هذا المعني روي عن الشافعي قوله:

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرجت وكنت أظنها لا تفرج

وما هذا إلا مظهر من مظاهر رحمة الله بعباده، وهو الرحمان الرحيم ، الذي علمنا حسن الظن به، في مواطن كثيرات منها قوله تعالى﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[٢٢] وقوله﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كثيراً ﴾[٢٣] ولا يعزُب عنا أن من مسلَّمات سلوك البشر، وثوابت جِبلّتهم ما وكّده رسول الله في قوله عند ابن ماجة من رواية أنس مرفوعاً :" **كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخطَّائينَ التوَّابونَ** "[٢٤]. لأجل ذلك لا يكون من الدقة والإنصاف نعتُ من أخطأ بأنه جاهل، فالخطأ في مجرَّده طارئ بشري طبيعي وجبلّي، ليس عيباً بذاته من حيث كونه خطأً ، إنما تقع إعابته بحسب ما يترتب عليه من آثا،وتفويتِ مجترحه البراءةَ منه،والاعترافِ به. أما العيب الحقيقي والصريح فهو تفويت المخطئ فرصة التعلم من أغلاطه، واستبانة آثار أخطائه، وافتقادُه الاهتمام بالاتعاظ منها، إنه حينها المستحق حقا لوصمهِ بالجهل. أولئك هم الجاهلون حقاً الَّذون يفقدون القدرة على الاعتبار من أغلاطهم، فتتواتر على جوارحهم

---

[٢٢] البقرة: ٢١٦

[٢٣] النساء: ١٩

[٢٤] ابن ماجه ٤٢٥١ و الدارمي في سننه ٢٧٦٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهم لها مستمرئون، دون اكتساب دروسها. فالأخطاء عند التحقيق هي خير معلّم وأصرح موجِّه، وأوضح نذير، ذلك لمن ألقى السمع وهو بصير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأحمق

من وجدته يضع ثقته الكاملة في إنسان؛ فأيقِنْ باستيلاء الحمق عليه .

شرح

الحصيف من الناس، من لا يكون عن مكايدهم غافلاً، ولا لبوائقهم متعرضاً، فيكون لسان حاله نحو ما قال إياس بن معاوية فيما رواه عنه المِزّي في "تهذيب الكمال"، وابن قتيبة في"عيون الأخبار":"لست بخِبٍّ، والخِبُّ لا يخدعني..."[٢٥].ولم يزل الناس تصيبهم من أنفسهم البلايا والرزايا، ولم تزل سنة الدنيا حافظة لنا أن أكثرهم على الباطل مقيمون، وللحق كارهون، وللإيذاء باذلون، إلا من رحم الله من الطيبين والصالحين، وقليلٌ ما هم. وقد وكّد الله تعالى في القرآن المجيد أن أغلب عبيده ليسوا على خير ، ولا منهم الخيْر، تلك حال الكثرة من بني آدم ، وهذا ما تُوَكّده كثيرات من آيات القرآن المجيد التي منها قول ربنا: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[٢٦] ، وقوله تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾[٢٧] ، وقوله : ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾[٢٨] ، وقوله سبحانه: ﴿قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾[٢٩] ،وقوله﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾[٣٠] . وتلقاء ذم الكثرة مدح الله القلة فقال: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[٣١] ، وفي حديث

---

[٢٥] و قد نسب هذا المقالة لعمر بن الخطاب ابن عبد ربه في العقد الفريد ، ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٢٦٥/٥)، "و ابن القيم في إعلام الموقعين" (٢٤١/٣)، و"الروح" (ص٢٤٤)و نسبت لابن سيرين عند ابن منظور و الزبيدي. و الخِبُّ: الرَّجل الخدَّاع الجُرْبُزُ، تقول منه: خَبِبْتَ يا رجُل تَخَبُّ خِبًّا، مثال عَلِمْت تعلم عِلمًا، و قد خَبَّبَ غلامي فلانٌ؛ أي خدعه..

[٢٦] الأعراف:١٨٧

[٢٧] البقرة:٢٤٣

[٢٨] الفرقان:٥٠

[٢٩] العنكبوت:٦٣

[٣٠] يوسف:١٠٣

[٣١] سبأ:١٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغرباء حين سُئل صلوات الله عليه : من الغرباء؟ قالَ:" أناسٌ صالِحونَ قليلٌ، في ناسٍ سَوءٍ كثيرٍ . مَن يَعصيهِم أكثرُ مِمَّن يُطيعُهُم "خرجه المنذري في الترغيب والترهيب ،وأحمد في المسند كلاهما عن ابن عمر،واللفظ للمنذري. وإلى ذلك كرر القرآن المجيد ذم الإنسان تبعاً لما عليه غالب أفراد جنسه البشري، ومما ورد من ذاك الذّمّ قوله تعالى ﴿إن الإنسان لظلوم كفّار﴾[٣٢] وقوله تعالى﴿قُتل الإنسان ما أكفره﴾[٣٣] وقوله تعالى﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾[٣٤] وقوله تعالى﴿ وكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾[٣٥]. وإلى كل ذلك يشهد واقع البشر ومعاملاتهم وظاهر أخلاقهم بغلبة الفساد عليهم ، وقلة الأمانة فيهم،مما اقتضى أن يحذر الإنسان في تعامله مع الإنسان، وذلك ما يستوجب أن يجنّب نفسه إطلاق ثقته في الناس،نعم عليه أن يحسن معاملتهم وأن يرقب الله في كل حركة وسكنة معهم،لكن لا يفرط في الاستكانة لهم والركانية إليهم حتى لا يكون من النادمين.

[٣٢] إبراهيم:٣٤

[٣٣] عبس:١٧

[٣٤] هود:٩

[٣٥] الاسراء:٦٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بين الشجاعة والإخلاص

تكون مخلصاً لو آمنت بكل ما تقول، وشجاعاً لو قلت كل ما آمنت به.وبين الشجاعة والإخلاص تتفاوت أقدار الناس.

شرح

إن من مقتضيات إخلاص الإنسان أن يكون وفياً وصادقاً ومخلصاً لكل ما يؤمن به مما يراه حقاً. حتى يطابق قولُه الظاهرُ مكنونَ ضميره الباطن، ولو كان في غير صالح نفسه،حينها يكون أهلاً لصفة الإخلاص. ومما ورثناه في ديننا ما ورد عن سيدنا علي بن أبي طالب، كما في الترغيب والترهيب:" قُلْ الحقَّ ولَوْ على نفسِكَ ".لكن ليس يقدر أكثر الناس على الإفصاح الظاهري بما في مخزون قلوبهم حين يكون إفصاحهم مقترناً بمضرة ، ومرتبطاً بأذى يصيبهم في أنفسهم، أو أموالهم. لذلكم فصفة الشجاعة لا تكون إلا لمن غلبتْ خوفَه شجاعتُه، فجَرُأَ على الإبانة ظاهراً عما يؤمن به ويعتقده باطناً. من ثّم فإن مقادير الناس ومقاماتهم متزايلة، ومتباينة، تبعاً لمدى اقتران كلامهم مع ما به يؤمنون،أو تنافر ما يظهرون مع ما يبطنون.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نفع الناس

السعي لنفْع الناس، هو أنفع سعْي الناس.

شرح

من المقرر والمؤكد في ديننا مقتضى قول نبينا –عليه الصلاة والسلام-فيما نقله الألباني في صحيح الجامع من رواية جابر بن عبد الله" **خيرُ الناسَ أنفعُهُمْ لِلناسِ** "[٣٦].

وفيه من رواية ابن عمر حديث عظيم يرسخ هذا المعنى ويَبْسُطه وهو "**أحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفعُهُمْ ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ تُدخِلُهُ على مُسلِمٍ،أو تَكشِفُ عنهُ كُربة،أو تَقضِيَ عنهُ دَيْنًا،أو تَطرُدَ عنهُ جُوعًا،ولَأَنْ أمْشِيَ مع أخِي المسلمِ في حاجةٍ أحَبُّ إليَّ من أنْ أعتكِفَ في المسجدِ شهْرًا،ومَنْ كفَّ غضَبَهُ،سَتَرَ اللهُ عوْرَتَهُ،ومَنْ كظَمَ غيْظًا،ولوْ شاءَ أنْ يُمضِيَهُ أمْضاهُ،مَلأَ اللهُ قلْبَهُ رضًى يومَ القيامةِ،ومَنْ مَشَى مع أخيهِ المسلمِ في حاجَتِه حتى يُثْبِتَها لهُ،أثْبتَ اللهُ تعالَى قدَمه يومَ تَزِلُّ الأقْدامُ،وإنَّ سُوءَ الخُلُقِ لَيُفسِدُ العملَ،كَما يُفسِدُ الخَلُّ العَسَلَ**"[٣٧].

إن منفعة الناس فضيلة جليلة،انطوت على خير ومردود مزدوج، من وجهين : الأول : ما استفاده الذي تلقى الإعانة والمنفعة من باذلها. والوجه الآخر، ما حصّله النافع للناس، من ثواب من ربه ، فضلاً عن اكتسابه طمأنينة قلبية لا تعدلها لذائذ الدنيا، ولا يحسها إلا من أدمنت يداه الجود للمحتاج، وأدمن قلبه الرحمة للمسترحمين. لأجل ذلك قلتُ: السعي لنفع الناس؛ هو أنفع سعي الناس.ولقد أفعمتْ سنة رسول الله بما يرسخ فضيلة إعانة المحتاج وكرامة من ينتهج ذلك، من ذلك ما خرجه مسلم في صحيحه من رواية أبي قتادة مرفوعاً:" من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة

---

[٣٦] صحيح الجامع ٣٢٨٩

[٣٧] السلسلة الصحيحة ٩٠٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلينفس عن معسرٍ أو يضع عنه".[٣٨] وعند الشيخين من رواية ابن عمر مرفوعاً "...**من كان في حاجةِ أخيه كان الله في حاجته ومن فرجّ عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة...**"[٣٩].

[٣٨]-صحيح مسلم برقم ١٥٦٣

[٣٩]-البخاري برقم ٢٤٤٢ ، ومسلم ٢٥٨٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قصدُ الصواب

قصدُك الصوابَ، يغفر وقوعك في الخطأ، ولا يكنْ كثيرُ خَطئك ناسخاً لصواب قصدك.

شرح

في حالات الخطإ والصواب يكون مدار الأمر على النية والقصد المُضمر، وهو الذي تناط به مؤاخذة الله تعالى لعباده، وهو القائل﴿ولكن ما تعمّدت قلوبكم﴾[٤٠] والقائلُ نبيه ، فيما خرجه البيهقي في السنن الكبرى، عن ابن عباس مرفوعاً:" **تجاوزَ اللَّهُ عن أمَّتي الخطأَ والنِّسيانَ وما استُكْرِهوا عليهِ**"[٤١].وكأيّن من مخطئ ومقصّر ، عفى الله عنه لسلامة قصده وبراءة نيته. ومما يستند إليه في هذا ما عند السخاوي في المقاصد الحسنة، من رواية أنس بن مالك:" **نيةُ المؤمنِ أبلغُ منْ عمَلِه** "[٤٢] لكن على الكيّس الحصيف أن لا يتّكل على هذا ، ولا يطمئن نفسه دائماً به، وعليه أن يجعل همّه موافقه قويمِ عمله لسليم قصده، وأن يكون من الخطإ على حذر ولو قلَّ أثره، أو انحصر أذاه؛ لأن الخطأ والتقصير إن هما غَزُرا وفشيا في سلوك السالك وعمل العامل ؛ فلا ريب أنهما يورثان ضيراً ، ويحدثان شراً في سلامة النية، ونقاء الطوية .

---

[٤٠] الأحزاب:٥

[٤١] صحيح ابن حبان ٧٢١٩ . والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠/ص٦١

[٤٢] المقاصد الحسنة ٥٢٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استثمرْ عقلك

في عالم المعرفة يكون إفراد الاعتماد على الأذنين؛ صدداً مباشراً لوهدة[٤٣] التقليد، التي لن ينقذك منها إلا اكتشاف أن لك عينين وبصراً ، عليك استعماله ، وعقلاً عليك استثماره.

شرح

في مجالات العلم والتعليم والتعلّم، يحتاج الإنسان إلى كل حواسه المؤكول إليها، والمُودعة فيه؛ كيما يستثمرها لتحصيل المعارف والعلوم، لكن أكثر الناس يغمطون أفضال ربهم عليهم، فيعرضون عن استثمار كل مواهب الحواس ، ويكتفون ببعضٍ مما لا ترهقهم مُؤنته، ولا تضيرهم مشقَّته. فيختارون سبيل الاجترار، ويستمرؤون التكرار، بعيداً عن الإبداع والابتكار، مما الشأنُ فيه أنه مستتبَع لاستعمال المواهب العقلية والمزايا الفكرية. فالاكتفاء بالسماع والترداد، دون تبصُّر ، وفي معزل عن النظر والتفكّر ، كل أولئك مُوهن للفكر، ومنهك للذكاء، ومُبير للفهم.ولا فلاح إلا في إحساس الإنسان بمسؤوليته، وبفضل الله عليه؛ أنْ منَحَهُ عقلاً يجب استثمار نفعه ، وفهماً عليه استدرار خيره ؛ كيما يكون كائناً مفكراً مبدعاً مستحقاً للتكريم، والبراءة عن صفات العجماوات. وأن يكون أهلاً للدخول في سواء قوله تعالى﴿ ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ ورَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[٤٤]،وقوله سبحانه﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[٤٥]

---

[٤٣] المكان المطمئن –الصحاح في اللغة-

[٤٤] الإسراء:٧٠

[٤٥] التين:٤

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لا يغرنك المظهر

كم من حسنٍ نتن، وكم من وَضِيءٍ وضيع، وكم من سميحٍ سميج، فلا يغُرَّنَّك المظهر، حتى تبلُوَ الجوهر.

شرح

كل هاته النُّعُوت هي من صفات بني آدم، وهي مبثوثة فاشية في أخلاقهم ، وسلوكاتهم، فضلاً عن ظواهرهم، والمراد في هذا المقام التنبيه إلى أن الظاهر من الإنسان، لا يكفي لإصابة كُنْهِ حقيقته، وأن ما يسنحُ من صفاته للناس ظاهراً ، كثيراً ما يكون معكوساً في حقيقته باطناً، وكم من إنسان أصابته مصايب؛ أتلفت عمله ومسعاه؛وحاقت به بوائق أضرّت بدينه ودنياه؛ لاغتراره بظواهر قوم آخرين، وانخداعه بحسين صفاتهم المرئية، الساترة لمسيخ نفوسهم الدنيّة. إذاً فمن مقتضيات الحكمة والتبصّر، وتمام التريث والتخير أن لا يبني الإنسان أحكامه على ما يسنح له بادي الرأي،فالحذرَ الحذر، من جملة البشر. فإن خالطتهم فاحذر، واجعل مقاربتك لهم كمقاربة المستدفئ من النار -حسب تشبيه ابن حزم- فتدفأ بها قدر حاجتك، ولا تداخلها فتحرقك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولى خطوات طريق الكمال

الشعور بالقصور ؛ أولى خطوات طريق الكمال. كما أن الشعور بالجوع أولى خطوات الشبع.

شرح

من فطرة الإنسان أنه لا يطلب ما يحتاجه إلا عند احتياجه، ولا يروم الشيء إلا عند كونه غير حاضر عنده، فالشعور بافتقاد المفقود هو أول خطوة نحو الحصول عليه، تتلوها خطوة السعي نحوه. كذلك الأمر مع طالب الرقي والمعالي والكمال، فأول خطوة ينطلق منها هي شعوره بالقصور والعوز والفقر إليه، ودون هذه الخطوة لا تحدث الحاجة إليه، ولا يحدث التشوف تجاهه. فمالكُ الشيء لا يطلبه، وإن طلبه فما ذاك إلا للاستزادة ،أما الطلب الحقيقي لما فيه الحاجة فهو لما كان مفقوداً عند طالبه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دعوة إلى التجديد

التفكير بعقول الأموات، كإماتة عقول الأحياء. والعائش في مقبرة، كالميت في جنة.

شرح

حين امتنّ الله تعالى على عباده بفضيلة العقل ، أراد لهم اهتبال خيره، واستثمار نعمته، واعتصار ثمرته، فمن فهم هذا وانتهجه فقد وفّى بحق العقل فيه ، وأدى نصيباً من شكر الله عليه، أما من غمط ، نعمته، ورآه مجرد كتلة شحم في جمجمته، وجمّد تفكيره، وخشّب تأمله، وجعل لا يستعمل غير أذنيه ولسانه؛ لسماع ما قيل، وتكراره واجتراره، فهذا مميت لحياة عقله، فاقد لفضيلة أصله، كاتم لنعمة ربه.لا يناله من النعمة ما حقه نواله، ولا يوصل من الأمانة ما حقه إيصاله، فليس غلواً أن نشبهه بميت وسط جنة، أو بعائش في مقبرة. هذا الوصف مطابق لحال من جعل نهجه في التفكير قائماً على ما اعتمد عليه المشركون فيما حكاه الله تعالى عنهم بقوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾[٤٦] فقد عطلوا عقولهم ومنعوها أن تهديهم بما فيها من قدرة على الهداية. ومثلهم القائلون﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾[٤٧] ، فاستحقوا أن يقول ربهم فيهم ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾[٤٨]. وعلى نهجهم لا يزال كثيرون سائرون من أدعياء العلم والإيمان،ممن جمّدوا الدين وعطلوا الاجتهاد، وقعدوا للمجتهدين كل مرصد، وجعلوا يأرزون إلى ما سمعوه ،وما قيل لهم، ويضبؤون إلى ما سبق، ويعادون كل ما لحق .وكأن فضل الله قد نفد منذ قرون، ولم يعد عباده من أصحاب العقول صالحين

---

[٤٦] البقرة:١٧٠

[٤٧] الزخرف ٢٢

[٤٨] الفرقان:٤٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للتفكير والاجتهاد والنظر .إنه منهج قائم على إماتة عقول الأحياء،والتفكير بعقول الأموات رحمهم الله. وما هذا إلا منكر من القول، جاحد لفضل الله، ومعادٍ للعلم، والعلماء، والتعلم ، والحق أن على العاقل منا أن ينتهج منهج فكّر ثم قُل،لا منهج اسمع ثم قُل .ولا أريد لأحد أن يفهم قولي على غير ما أريد، فالاستماع والنظر في كلام السالفين-رحمهم الله- لا غُنية عنه لطالب العلم والحق، لكن من غير الموت هناك، بل استمع من هناك واعلم ثم تعال .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انتبه يا طالب العلم

حين تُحسُّ بالشبع من العلم؛ فاعلم أنك لم تذقه بعد .

شرح

العلم الحقيقي إذا لاقى طالب علم حقيقي أصابه بالنهم الذي لا شبع معه، فليس ممكناً الوصول إلى مرحلة الشبع من العلم إلا لمن كان طلبه له مشوباً ، أو سيره فيه مغرِضاً . هذا ما يوكّده واقع العلم وأهله الأصحاء الصادقين المخبتين. ومما يسند هذا من الشرع ما نقله وصححه الألباني في صحيح الجامع من رواية ابن عباس :" **مَنْهُومانِ لا يَشْبَعانِ طالبُ علمٍ ، وطالبُ دنيا**"[٤٩] . ومما يجب إضافته إلى هاته الحقيقة ، أن من وصل إلى أن يقول إني قد علمتُ واكتفيت من العلم، فما هو إلا مقيم على نفسه الدليل بكذبه،وفي هذا أُثر عن ابن المبارك قوله: "لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم ، فإذا ظنّ أنَّه قد علم فقد جهل". وخرَّج الطبراني في المعجم الأوسط مرفوعاً، وفي الصغير موقوفاً "**من قال أنا عالم فهو جاهل**"[٥٠] .

---

[٤٩] مشكاة المصابيح ٢٥١

[٥٠] - لا يصح مرفوعاً، و الأرجح وقفه إلى يحيى بن أبي كثير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لذة طلب العلم

إذا ما طلب العم أتعبك وأجهدك، ثم لم تجدْ لذة في ذاك التعب، ومتعة في ذلك الجهد؛ فاعلم أن علاقتك بالعلم مصطنعة زائفة، وصِلتَكَ به موقوتةٌ زائلة.

شرح

لم يزل طلب العلم مقترناً بما يلقاه طالبوه من نصب، وما يواجهونه من تعب، وما يكافحون من عقبات مرهقة،وخطوات منهكة. وبرغم ذلك كله، يستمرئ الطالب الأصيل كل ذلكم التعب، ويستسيغ كل ذاك النصب، ويستطيب كل ذلك الإرهاق، والإجهاد والإنهاك بما يلقاه من لذاذة، تسكن قلبه،ومتعة تستوطن نفسه،وسكينة تغشى روحه، من آثار من يكتسبه من علم ومعرفة.حتى ينقلب كل ثقيل عليه خفيفاً، وكل حزن سروراً، وكل كدر حبوراً. وذلك من آثار بركة العلم والتعلم،ومن إكرامات الله - تعالى- لطالب العلم المخلص. فإن لم يكن في طلبه مخلصاً ،ولا في تعلّمه مُخبتاً، فليس ليس غير الحرمان، فلا لذة يحسّها، ولا متعة يمسُّها ، ولا راحة يجسّها ، ولا كرامة ينالها، ولا شرف يناله، ولا مجد يطاله .وفي هذا السياق قال ابنُ الجوزيِّ في "صيد الخاطر": "والله ما أعرف مَن عاش رفيعَ القَدْر بالِغًا من اللَّذات ما لَم يبلُغْ غيرُه ، إلاَّ العــلماء المُخلصين ".وفيه يقول أيضاً:"ولقد كنتُ في حلاوة طلَبِ العلم أَلْقى من الشَّدائد ما هو أحلى عندي من العسَل في سبيل ما أطلبُ وأرجو" [٥١].وقال الشاطبِيُّ في"الموافقات" : "في العِلْم بالأشياء لذَّة لا تُوازيها لذَّة؛ إذْ هو نوعٌ مِن الاستيلاء على المعلوم،والحَوْز له، ومحبَّة الاستيلاء قد جُبِلَت عليها النُّفوس، وميلت إليها القُلوب" [٥٢].

---

[٥١] ص٢٠٩ ، و ص١٧٧

[٥٢] ٦٧/١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد أورد الخطيب البغدادي في "الجامع لأخلاق الراوي" أبياتاً تكشف التذاذ طالب العلم بطلبه :

لَمَحْبَرَةٌ تُجَالِسُنِي نَهَارِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أُنْسِ الصَّدِيقِ
وَرِزْمَةُ كَاغَدٍ فِي البَيْتِ عِنْدِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَدْلِ الدَّقِيقِ
وَلَطْمَةُ عَالِمٍ فِي الْخَدِّ مِنِّي أَلَذُّ لَدَيَّ مِنْ شُرْبِ الرَّحِيقِ

فبمثل هاته الشُّعورات، والتعبيرات يكشف أهل العلم حقيقة ما يلابسون، من قربانهم العلم، وما يقارفون من جليل عوائد طلبه، ولذيذ محاسن تعبه، وحَسِين متع الجهد الذي يبذلون، والتعب الذي يكابدون. ولو أن طالباً للعلم شقِيَ وتعب ثم لم يجد في نفسه مثيل تلك الأحاسيس والمشاعر؛ فليعلم أن علاقته بالعلم ليست أصيلة، وأن صلته به لن تدوم ، فهي موقوتة ومرهونةٌ بأغراض في قلبه مكنونة ،لم يلابسها إخلاص النية،ولم يلامسها صفاء الطويَّة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قلب الحياة

قلب الحياة، في حياة القلب.

شرح

قلب الإنسان الصالح هو مستودع الإيمان، ومنبع الصلاح، وموطن الخير، ومصدر السعادة. وهذه الأربعة لها ما يضادها في قلوب قوم آخرين، وهي التي تطيب الحياة بها، وهي التي تحتل من الحياة مركز اللب، ومكان القلب، فتكسب القلب حياته. من أجل هذا قلت إن تحقق الحياة للقلب هو الركن الأساس الذي تقوم عليه الحياة الصالحة التي أقصدها .

إن لكل حياةِ إنسانٍ قلبٌ تسير به؛ فيوجِّهها، قد يكون قلباً صالحاً عامراً بالخير ، كما قد يكون قلباً فاسداً مفعما بالشر، وكل منهما يسير بالحياة صوبَ الوجهة التي يقتضيها حاله ومحتواه .فمركز الحياة في صلاحه وإشراقه منوط بحالة قلب الإنسان الذي جعله النبي صلوات الله عليه مناط صلاح الإنسان ومناط فساده فقال فيما خرجه مسلم في صحيحه من رواية النعمان بن بشير مرفوعاً "...**ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإذَا فَسَدَتْ ، فسدَ الجَسدُ كُلُّهُ . ألا وهِيَ القَلبُ**"[٥٣] ومن خير تقسيمات حال القلوب ما أورده ابن كثير بسنده في تفسيره من رواية أبي سعيد الخدري" **القلوبُ أربعةٌ: قلبٌ أجردُ فيه مثلُ السِّراجِ يُزْهِرُ، وقلبٌ أغلفُ مربوطٌ على غلافِه وقلبٌ مَنكوسٌ، وقلبٌ مُصفَّحٌ. فأمَّا القلبُ الأجردُ فقلْبُ المؤمنِ سراجُه فيه نورُه. وأمَّا القلبُ الأغْلَفُ فقلبُ الكافرِ. وأمَّا القلبُ المنكوسُ فقلبُ المنافقِ الخالصِ، عرَف ثم أنكر وأمَّا القلبُ المصَفَّحُ فقلبٌ فيه إيمانٌ ونفاقٌ...**"[٥٤]

---

[٥٣] البخاري:٥٢ و مسلم ١٥٩٩ و ابن ماجه:٣٩٨٤ و الدارمي:٢٥٧٣

[٥٤] تفسير ابن كثير ٦٥/٦. ومجمع الزوائد ٦٨/١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بين أخطاء العاقل وأخطاء الأحمق

أخطاء العاقل مصابيح ترشد خُطاه ، وأخطاء الأحمق عتماتٌ تُظلم ممشاه.

شرح

الخطأ والخطاء ما صدر عن الإنسان مفارقاً إرادته، شارداً عن القصد والعمد، وقال ابن رجب في تعريفه الوارد في" جامع العلوم والحكم": "الخطأ: هو أن يقصد بفعله شيئاً فيصادف فعله غير ما قصده."ولا ينعصم أحد عن الخطاء سواء من أهل الحصافة والكياسة، أو أهل البلاهة والحماقة، فهو عارض بشري لا يبرأ عنه أحد ، مصداقاً لقول سيدي رسول الله فيما خرجه ابن ماجة من رواية أنس بن مالك " **كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخطَّائينَ التوَّابونَ**"[٥٥].لكن الفرق الرائس بين ما يجترحه كلٌ من الحمقى ، والعقلاء -من الأخطاء- أن العاقل إن بدر منه خطاءٌ ، جعل خطأه درساً يستفيد منه لتجاوز ما يعرض له بعدُ، مما قد يوبقه فيه كرةً أخرى، أما الأحمق فدأبه استظهار أغلاطه وترك الاعتبار بها، وإغفال دروسها، مما يجعله كمن يمشي في الظلام تاركاً وراءه مصابيح أغفلها وأعرض عنها. تلك المصابيح هي الدروس التي ترك استيعابها عند وقوع أخطائه السابقة.

[٥٥] ابن ماجه ٤٢٥١ و الدارمي في سننه ٢٧٦٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رجال في ورق ورجال من ورق

إذا عَدمتَ عظماء الرجال في واقع حياتك ؛ فالتمسهم في أضابير الكتب، فسيرة رجل-ميت- على الورق، أنفعُ من ألف رجل -حيٍّ- من ورق.

شرح

لا يستغنى الإنسان عن قدوة -بشرية-يسترشد بها، ويستهدي بفكرها أو سلوكها، يستلهم منها الرشد في قوله وعمله ، ولا فرق بين أن تكون القدوة إنساناً حياً أو ميتاً، لكن أغلب الناس قدواتهم من الأموات، لذلك فكل من طلب له قدوة حية فلم يجدها، فلا يترك البحث والاستهداء، وليقصد الكتب وتواريخ الرجال وليلتمس لنفسه من هو أهل للاقتداء، فالعيش بلا قدوة وبلا مرشد ملهم، أمر خطير على الإنسان مهدد لطموحه، ومربك لمسيره، ومظلم لسبيله ومعرقل لإنجازاته.وعلى كل حال إن قدوة ميتة استبطنتها كتب التاريخ هي خير وأنفع من ملء الأرض من رجال هم كالورق، خفة، وضعفاً، وهواناً لذلك فرجل في الورق خير من ألف رجل من ورق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مواقد العزة

مواقف المذلة مواقد للعزة، ولا يلتذ بحلاوة العز إلا من ذاق مرارة الذلِّ .

شرح

ليس للعاقل ولا منه أن يعرض نفسه للمذلة، لكن لو أصابته الحياة وصُروفها ببعض من لسعات الإهانة والمذلة، فالعاقل والحازم هو من تكون إصابته منها موقدة لطموحه، ومؤرثةً لنار عزيمته، من ذلكم ابتلاء بعض الفضلاء بسجون الظالمين، أو إصابتهم بالأذى في معيشتهم وأرزاقهم بما يقتضى إهانتهم في بعض وجوه معيشتهم، فكثير الشرفاء ابتُلوا بهذا النوع من البلاء ، فكانت مواقف المذلة تلك دافعة للعزة في نفوسهم ، فخرجوا بنفوس عالية، وهمم رابية، فكانوا على أعلى شرفات العزة، وأسنى ذرى المجد .وليس يغرُب عنا أن لذة المفقود إذا حصل عليه الفاقد المحروم هي أعلى وأحلى من لذته عند من لم يجرب الفقد ولا الحرمان. ولعل مما يقترب من هذا المعنى ما ورد عن الشافعي قوله:

اصبر على مر الجفا من معلم فإن رسوب العلم في نفراته

ومن لم يذق مر التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته

فكثير من طلبة العلم يلاقون أثناء سنوات طلبهم صنوفاً من النصب والذل ، والمرارة سواء من شيوخهم أو من الناس، وتكون لكثير منهم حوافز للانطلاق نحو التميز والارتقاء.كما قد تكون لبعضهم متلفة للطموح، ومركسة للهمة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حرية التعبير

حرية التعبير ليست من حقوق الإنسان، بل من واجباته.

شرح

من الحقوق الطبيعية لكل إنسان أن يفكرّ، بحرية وأن يعبّر بحرية عن أفكاره ، وأن يطرح آراءه ، ويعرضها للعالمين ،دون قيد ولا حجر ولا إكراه . وهذا مقتضى من مقتضيات كون الإنسان حراً ، لكونه خلق على أصل خلقته حراً. وقد قال عمر بن الخطاب منكرا على ابن عمرو بن العاص ترفعه وإيذاءه للقبطي الذمي:"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" .والقصة أوردها بسند ضعيف ابن عبد الحكم في " فتوح مصر وأخبارها"لكن متنها صحيح صائب يوكد أصالة حق الحرية بمعناها الشامل.لكن مقتضى الحكمة الإلاهية جعل لكل حق حداً ، ولكل مشروع ضوابط، ولكل حكم مستثنيات. لذلك لسنا نغفل أن الحرية التعبيرية لو أطلقت ؛ فلا بد أن تقترن بمفاسد تستتبع إطلاقها، من ذلك فتح أبواب التعبير عن ضلالات تضر عقول الناس، وتعكر فهومهم، وتضر نظام الحياة المجتمعية، والأسرية، والشخصية كذلك. والذي ترمي إليه مقالتي السالفة انتقال حق الإنسان في التعبير إلى مرحلة الوجوب ، بعد مرورها بمرحلة الإباحة، وهذا الأمر ليس على إطلاقه ، فيجب تقييده وتوضيحه بأن ما يجب من حرية التعبير هو نقيض كتمان الحق الذي يقع فيه كثير من الناس، فمن علم الحق واقتنع بأحقيته صار من واجباته أن يعلن ويبث ما علمه. وقريب من هذا المعنى ماخرجه ابن حبان في صحيحه، من رواية ابن عمر ، وغيره، ونحوه عند الطبراني في الأوسط من رواية أبي هريرة، واللفظ لابن حبان" **مَن كتَم عِلْمًا ألجَمه اللهُ يومَ القيامةِ بلِجامٍ مِن نارٍ**"[٥٦]

[٥٦] صحيح ابن حبان ٩٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الروح والجسد

استثمار الروح دون الجسد:تيه وكساد . واستثمار الجسد دون الروح: عبث وفساد.

شرح

الإنسان جسد وروح، إن لم يحسن الإنسان التوازن بينهما، والقصد في إيفائهما حقهما؛ طغى أحدهما على الآخر؛ وفقد سويّته، وعدِم اعتداله، ووجد نفسه إما غائباً عن شرف الروح وصفائها، وإما محروماً من حالات الجسد وعطاياها العاجلة الموقوتة. وليس للإنسان السوي غُنية عن الامتياح من عطايا الجسد، وهدايا الروح. فإنْ أحدٌ من الناس أقصى دواعي ومقتضيات جسده، واستغنى بدواعي ومقتضيات الروح، فما مصيره إلا إلى عطالة عن الحياة ولوازمها. وإن هو أبعدَ دواعي ومقتضيات روحه ، واستكفى بلوازم وحاجات الجسد؛ فقد حجز نفسه في ساحة لا يشاركه فيها إلا العجماوات .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مصير الإنسان

يعيش الإنسان ناظراً هداية وحي ، أو إعانة إلهام،أو توجيه معرفة، أو إضاءة عقل، ثم موتاً ينقله حيث يستحق.

شرح

اعتماد الناس في حيواتهم ليس قائماً على مصدر موحد، في اقتباسهم المفاهيم والمعاني والأفكار والحقائق. فمنهم مؤمن ومنهم كافر ، وفيهم ملحد ، وفيهم حائر. وهم بما هم عليه من تفارق مصدري وتزيّل منهجي، لا يستغنون عن مصدر للاستبصار، ومورد للانتهال؛ فالعقول لم تزل تسأل، والقلوب لم تزل تنهل ، والجسوم لم تزل تعمل . وليس للإنسان –والحالة هذه- إلا أن يعتمد شرعة يرِد إليها ، ومصدراً يقصده لسُؤله. فمن كان منهم مؤمناً جعل الوحي أساساً لاستقائه ، واستعان بالإلهام، والعقل. ومن كان منهم لا دينياً توجّه للمعارف البشرية وتجارب الحكماء، ومن كان منهم ملحداً اعتمد على إضاءة العقل، الذي قد لا يمنحه غير إظلام يحسبه إضاءة. ثم تنتهي رحلة كل واحد منهم إلى مصير واحد، لينتقل إلى المكان الذي أراده الله له.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معرفة الهدف لا تكفي

لن تُجديَك معرفة هدفك إن لم تحدِّد وِجْهته، ولن ينفعك تحديد وجهته، إن لم تتحرك إليه، فإن تحركت، فلن يضيرك عدم الوصول.

شرح

هنا يتضح الفرق جلياً بين السعي العملي، وبين السعي الأَمَلي، فالأول يقتضي تحركاً ومبادرة للفعل الواقعي، والآخر يقف عند المعرفة المجردة عن العمل، فمن عرف هدفه ومراده، فمجرد معرفته لن توصله، ثم إن زاد وحدد وجهته ، فمعرفة الوجهة لن توصله، ما لم ينضمّ إلى ذانك الخطوتين خطوة ثالثة هي التحرك نحوه عملياً وفعلياً.إذاً هي خطوات ثلاث: الأولى- معرفة الهدف، والثانية: تحديد وجهته، والثالثة: التحرك نحوه . وبالاكتفاء بالحالتين الأوليين، يلام الإنسان، ويلوم نفسه أنْ لم يوفق إلى تحقيق هدفه، أما إن اجترح الثالثة ولم يصل، فلا لوم عليه، ولا لوم منه. ولن يكون ضائراً له عدم الوصول لأنه استنفد جهده وبذل ما في مُكْنته، فلا تثريب عليه من الآخرين، ولا من نفسه. لأنه برئ عن مشاكلة الكُسالى، ومماثلة أهل الاتِّكال، وأصحاب الأمانيِّ، المُخلدين إلى الأرض، المكتفين بالتمني وبالكلام، ممن يلحقهم العتاب، ويستحقون الملام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بين العزلة والاختلاط

العزلة كاشفة للحُجب، إن لم تكن مطلقة. فإن أُطلقت؛ صارت حاجبة للكشف. والاختلاط حاجب للكشف إن هو أطلق. فإن لم يك مطلقاً فهو كاشف للحجب.

شرح

من شأن العزلة المتبصّرة أن تكون حالة كاشفة ومنيرة لعقل الإنسان، موسّعة لآفاقه وفاتحة لأبواب تفكره وتدبّره. هذا إن لم تكن عزلة مطلقة مقتضية لانقطاع كامل بتّيٍّ عن العالمين . فإن هي أطلقت منقطعة قاطعة آلت إلى حالةٍ حاجبة طامسة للمعرفة والكشف عن حقائق الأشياء، وعن لوازم ومعارف الحياة البشرية.ومما له أن يحجب الكشف والمعرفة ، الإفراط في المخالطة للناس،والتوغل في تفاصيل الحياة البشرية، وسفساف الشواغل اليومية، أما إن حدد وفصّل وحجَّم الإنسانُ مقدار اختلاطه بالناس، ومقدار التوغُّل في شؤونهم وصوارفهم، فإنه على نهج يتيح له كشفاً وجلاءً لا غَناء عنه، ولا اكتفاء بدونه .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بين العيش والحياة

لم يخلق الإنسان ليعيش، بل خلق ليحيا، وبين العيش والحياة يتوزع الناس بين سُفول[٥٧] مسفٍّ، وعلوٍ مشرِّف.

شرح

العيش حالة بيولوجية،يمارسها كل كائن حيٍ،ويمر بها كل مخلوق.لذلكم أراد الله من الإنسان أن لا يكون في مرتبة كل ذوات الأرواح من الكائنات التي تعيش وتعتاش،وأراد له الله أن يحيا،بمعنى يشمل حياة الروح،وحضور النفْس،فضلاً عن الجسد. فمن كان وجوده مرتكزاً على احتياجات الجسد؛فهو قائم بالعيش،ومن كان وجوده موازِناً بين مطالب الروح،والجسد فهو في حالة حياة.وما بين الحالتين يُحكم بأن إحداهما أشرف وأرقى،والأخرى أسفل وأدنى.وفي وصف أهل العيش،المعرضين عن الحياة الحقيقية الشاملة للروح والعقل قال تعالى:

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَو يَعْقِلُونَ إن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[٥٨]

---

[٥٧] السفول ضد العلو-مقاييس اللغة-

[٥٨] الفرقان: ٤٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أعجب مخلوقات الله

الإنسان أعجب مخلوقات الله؛ فأحط الخلق إنسان. وأشرفهم إنسان.

شرح

قد يعترض معترض بقوله بل أحط الخق هو إبليس، فأقول بل أحطّ منه وأسفل من رضي أن يكون فرداً بين جنود إبليس، وقد علم أن الله أراد له الكرامة، فرفض إكرام ربه الرحمان، وآثر هوان الخدمة لدى عدوه الشيطان .

فأن يكون إنسان جندياً من جنود إبليس، فهذا قد رضي من نفسه بأدنى دركات الهوان، بأن ينحضج تحت درجة الشيطان. وليس هذا بعجيب ولا معدوم فكثير من البشر قد بلغوا سفولاً تلك الدرجة،فكانوا من الشياطين أسوأ ،وأردأ،وأشرّ ،وأضر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بين الإرادة والدراية

إن لم تدرِ ما تريد فلا تفعلْ، وإن لم تُرد ما دريتَ فلا تفعل، فإن دريت ما أردت فلا تترك، فالإرادة والدراية مناط النجاح إن اجتمعتا، وضمان الخذلان إن تفرَّقتا.

شرح

تمر بالإنسان حالات منها :

١- أن يحتار في فعل ما لم يترجح عنده أحد أطراف النفع فيه، فهنا عليه أن لا يبادر إلى اجتراح ما لا يدري فساده من صلاحه.

٢- أن يعلم شيئاً ويطلع على أماكن مصلحته ومواطن مفسدته، لكنه لا يريد مقاربته، ولا يحتاج ملابسته؛ فهنا عليه أن يجتنبه.

٣-أن يحتاج شيئاً ويريده، وهو على معرفة به تامة؛ فعليه هنا أن لا يترك اجتراحه .

إن اتضاح الأمر ، في حالة إرادته واحتياجه، لهُوَ من دواعي وضوامن نجاحه ، كما أن تزيّل وتفرق الدراية به والإرادة له ، من ضوامن الفشل والخذلان .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإهانة أقوى من العقاب

جيء بالنسر لتحاكمه حمامة فقال لها: إن أقسى حكم منك،لن يكون أشد علي من وقوفي هنا أمامك.

شرح

كثيرا ما تكون الإهانة أشدَّ من العقاب، والإزراء أشقَّ من الإيذاء. فأنْ يُقام الشريفُ مقاماً مُهيناً لشرفه، أشد عليه من أن يعاقب عقوبة مؤلمة لجسده . وليس أشد ولا أشقّ على الماجد الشريف من أن، يهينه الوغد المهين. فكم شهدت الدنيا استقواء الأنذال واستعلاء الأقدام، وشهدت هوان الشرفاء ومذلة الكرماء، فما من شيء أشد عليهم من سيادة أولئك فوقهم، وظهورهم عليهم. ومن وجوه شدة ألم الإهانة على ألم الجسد، أن ألم الأولى أدوم وأبقى، فهو عالق في النفس محفور في الذاكرة، فلا يزول. أما ألم الجسد فموقوت، بأثره على الجلد، أو في بعض أعضاء الجسد. ثم يزول .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إرضاء الناس

حين تطلب رضاء الناس جميعاً؛ فاتّهم عقلك، واستربْ مِن سعيك، واقبل أن توصم بالحُمق؛.فأنت تطلب ما لم يعْطهِ الله -تعالى- لرُسُله،ولا لذاته

شرح

طبَعيٌّ أن تتوزع سلوكات وأفكار الإنسان بين طرفين من الناس فريق راضٍ معجب، وآخر ساخط محنق،لكن غير الطبعي أن يعجب الجميع بشيء واحد، أو أن يتفق الجميع على أمر واحد، فهذا مما يضاد سنن الله في خلقه الذين قال فيهم ﴿ولا يزالون مختلفين﴾[٥٩] وقال﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ واخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾[٦٠].وما اختلاف أديان الناس وعقائدهم وطبائعهم وأذواقهم وأصنافهم ، إلا آية ربانية توكّد لنا أن التنوع سنة لا صارف لها ، ولا مبدل لها، فليعمل العاملون على هذا الأساس، ولا يأملُ أحد في تغييره، إلا من كان أحمق جاهلاً بسنن الله في خلقه .

ورد في"صفة الصفوة" "عن الربيع بن سليمان قال:" قال لي الشافعي:" يا ربيع: رضا الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه فإنه لا سبيل إلى رضاهم".ولو كان من سبيل إلى رضاهم جميعاً على شيء واحد لكان رب العالمين أولى بذلك، ونحن نرى الناس لم يزالوا ولا يزالون مختلفين في شأن الله ما بين مؤمن ، وكافر، ومشرك، وملحد، لكل من هؤلاء وجهته. وكذا الأمر مع رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

[٥٩] هود:١١٨

[٦٠] الروم:٢٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مخالطة الأدعياء

مخالطة الأدعياء تحجب عنك مكانك، وتغبّش عليك زمانك؛ فقد ترى نفسك مصبحاً على ذُروة ، في حين كونك مُمْسياً في حفرة.

شرح

إن من شأن الدعي ألا يكون صادقاً؛ لذلك لا يتاح لك أن تعلم -حال مخالطته- أين أنت منك، أو أين هو من نفسه.فما دمت له قريناً فعن النور أنت معزول، وبالتمويه أنت موصول،وعن الوضوح أنت مفصول. والإنسان في حاجة إلى من يكون معه صادقاً، لا من يكون له مصدّقاً ؛ لذلكم قيل قديمًا: "صديقك من صدَقَك، لا من صدَّقك".والدعيّ - معلوم من مَعهود خُلقه- لا يرى لصحبتك حرمة، فهو متسربل بالزور، يستوي لديه أن تستقر بك الأرض، أو أن تَمور، أو أن تقوى أمامه، أو أن تخور؛ لأجل ذلك أبان كثير من الحصفاء[٦١] العقلاء عن صدق خبرتهم بالحياة حين اختاروا لهم العزلة ملجأً، والتفرُّد مَنْجأً . مصداقاً لقول من قال:"إن للمرء في العزلة، عزٌّ له" .

[٦١] جمع حصيف ، و هو المحكم العقل –الصحاح في اللغة-

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التواضع والتكبر بين اللغة والحقيقة

التواضع لغةً سُفول، وحقيقةً عُلو. والتكبر لغة علو، وحقيقة سفول.

شرح

التواضع والضعة، والوضاعة،والوضع، كلها كلمات تحيل- معجمياً - إلى معنى السفول والحط نحو الأرض . لكن التواضع بما استقر عليه من دلالة هو في حقيقته المعنوية ارتفاع واعتلاء فوق حضيض الكبر والخيلاء والزهو .والكبر في اللغة دلالته تنتمي إلى دلالة الارتفاع والعلو، لكنها في علم الاستعمال المفهومي، تحمل معاني السفول عن كريم الخلق والتواضع،والانحطاط عن السماحة، ومحاسن الأخلاق. لذلكم فالتواضع في حقيقته علوٌ وارتفاع، رغماً عن دلالته اللغوية الوضعية، وكذا الكبر فهو في حقيقته نزول وسفول، رغماً عن الدلالة الوضعية اللغوية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شرط المعرفة

المعرفة شرطها الجهل. فمن غير جهل سابق، لا تحصل معرفة لاحقة ، كما أن الشبع لا يحصل إلا إذا سبقه جوع .

شرح

المعرفة حمولة معنوية، لا يمكن تحصيلها إلا في حالة حدوث فراغ، يسمى بالجهل. فبلا جهل يستحيل الحصول على معرفة.وبلا معرفة يمتنع إزالة الجهل.

المعرفة إضافة معرفية علمية تحتاج إلى محل تستقر فيه، فلو سُبقت المعرفة بمعرفة قبلها؛ فلن تلقى لها فراغاً تستقر فيه وتملؤه؛ لذلك فهي تستوجب _قبل حصولها_وجود جهل -أي فراغ معرفي - حتى يمكنها الحلول والاستقرار.ألا ترى أن الإناء لا يمكن ملؤه ، إلا إذا كان فارغاً ، ولو أنه كان ملآنَ لتعذر إضافة شيء إليه، ولو أكره على احتمال إضافة حال امتلائه؛ فلابد من فيضان وسيلان ما كان فيه، بقدر ما أضيف مما حلَّ فيه.والعقل يظل قابلاً للإضافات المعرفية على نحو غير محدود، فمساحته الاحتوائية غير قابلة للفيضان المعرفي، فمهما امتلأ الإنسان علماً ومعرفة، سيظل محتاجاً وقابلاً للمزيد. وحينما يصل الإنسان إلى درجة يحسب فيها أنه امتلأ علماً، وأنه في غنية عن المزيد؛ فإنه –حينها- قد أكد انغلاق عقله، وانطماس بصيرة فكره، باستيهام أن عقله قد امتلأ. هاتان حالتان يتعذر عندهما الاستزادة من المعرفة:الأولى-انغلاق العقل،والأخرى-امتلاؤه،ولا ريب أن الحالة الأخيرة هذه متعذرٌ حدوثها، أما الأولى فهي كثيرة الشيوع، وواسعة الذيوع.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رُبَّ فشلٍ خيرٌ من نجاح

أن تفشل في تحقيق النجاح ؛ أهون من أن تنجح في تحقيق الفشل.

شرح

النجاح له مفهوم محبب جاذب، لا ريب في تقديمه على الفشل بحسب مقاييس كل العقلاء. والفشل له مفهوم رديء مستقبح ، منفر ، هذا ما يستحقه من أوصاف تناسبه. لكنه يكون في حالة ما خيراً وألطف وأهون من النجاح، تلكم الحالة هي أن يحدث الفشل في تحقيق النجاح ، مقارنة مع النجاح في تحقيق الفشل، فهنا يكون الفشل أهون وأقل ضررا، من ذاك النجاح الكارثي الذي يحدث به تحقيق الفشل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حقيقة المصلحة والمصالح

يسعى الناس لمصالحهم، ولا يلتفتون لصالحهم.ويقدمون مصالحهم، ويؤخرون صالحهم. وقد غفلوا عن أن الصالح أبقى من المصالح.

شرح

أعني بالمصلحة هنا كل ما فيه نفع عاجل، وخير مؤقت، كالحصول على مبلغ مالي معيّن، وأقصد بالصالح ما فيه نفع دائم وخير متّصل. كزواج بامرأة صالحة، أو إسلام كافر. ولقد جرت سنة الله في عبيده على أن يكونوا عَجِلين متسرعين، فقد قال تعالى﴿وكان الإنسان عجولاً﴾[٦٢] وقال﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[٦٣]. لكن منهم مَنْ منَّ الله عليه بالتُّؤدة ،والرويَّة، والعقل الوافر، فما جعل مصلحته غالبة على صالحه ، إنما كان الصالح هو المقدم، والمصلحة هي المؤخرة حين تعارضها وتضادّها معه ، فلا يترك ما هو خير دائم ، لأجل ما هو خير موقوت.

---

[٦٢] الإسراء:١١

[٦٣] الأنبياء: ٣٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خطأ العاقل وخطأ الأحمق

حين يخطئ الأحمق؛ يرى خطأه فوزاً .وحين يخطئ العاقل؛ يرى خطأه درساً. وفي غمرة الفوز الموهوم؛ نرى حمق الأحمق يدوم.وفي ضوء الدرس المستفاد؛ فعقل العاقل في ازدياد .

شرح

الخطأ عارض بشري لا يُعصم عنه إلا من عصّم اللهُ، فلا يبرأ عنه عاقل ولا أحمق،ولا حكيم ،ولا خفيف العقل،ولا ثقيله .ويكمن الفرق بين خطأ الطرفين في أن الأحمق لا يحس بثقل ومغبّة من يبدر عنه من أخطاء، بل يرى بعضها نصراً ، وبعضها متعة ، وبعضها مكسباً، في حين إنها أخطاء تتراكم عليه حتى ترديه، بعد استمراره في وهم أعمى بصيرته عن آثار أخطائه.وحين يقع الخطأ من العاقل، فإن وفرة عقله، وجودة فهمه تتيح له أن يستثمر أخطاءه ويصيّرها دروساً في سياق حياته، تلك الدروس التي يستعان بها في تنمية التجارب ،وصَفاء العقل، وصفاء الفكر، ووفرة الحكمة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحياة خمسة أيام

الحياة خمسة أيام: يوم لك، ويوم عليك، ويوم لا لك ولا عليك، ويوم هو لك كأنه عليك، ويوم هو عليك كأنه لك.

شرح

مقصدي من قولي هذا أن اليوم الذي هو لك: ما كنت فيه غانماً، وعن الغُرْم غائباً. وأما الذي هو عليك: فما كنت فيه غارماً ، وعن الغُنْم غائباً.وأما الذي هو لك كأنه عليك: فما كنت فيه بخسران ظاهر موهوم، وربح خفي غير معلوم .وأما الذي هو عليك كأنه لك : فما عشتَ فيه بربحٍ ظاهريٍ في نطاق الوهم، وخسرانٍ خفي تجاوز الفهم. وأما الذي لا لك ولا عليك: فهو اليوم الذي عشته غير غانم، ولا غارم؛فلا اجترحتَ فيه خيراً ، ولا اجترمتَ منهُ ضيراً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنت والآخر

لن تكون من ذوي الألباب حتى تفتح لمخالفك الباب. ولن تصير بصيرتك نافذة،حتى تفتح لخصمك النافذة.

شرح

من أبين صفات العقلاء أنهم يغلقون أبواب التواصل والتفاهم مع الآخرين سواء مخالفين لهم أو موافقين، فكمال العقل وسلامة اللب تقتضي اتساع الأفق وسعة الصدر ومداراة الناس، مما يستتبع حسن الخلاف مع المخالف، فلا توصد الأبواب في وجهه، ولا يُصار إلى إقرار خصومته، وبتر مودته ، لمجرد حدوث تنافر فكري، أو تفارق معرفي،أو خلاف علمي.هذا دأب أصحاب البصائر النافذة، وأهل الحكمة والسداد. .ممن هجّيرهم الصدود عن التفاهم مع المخالفين، ودأبهم الإعراض عن من لم يوافق آراءهم، أو يواطئ أهواءهم، أو يتابع أفكارهم. فهم عن الألفة معزولون، وعن الأُدم محجورون .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حقيقة العلم

العلم ضياءٌ تنتجه العقول ؛ ليملأ القلوب .وليس كلاماً تنتجه الأفواه لِيملأ الآذان . ورُبَّ مُجيدٍ للكلام، ليس له من العلم غير الأوهام .

شرح

من سُخف التصورات أن يتصور أحد أن العلم محض معلومات ومعارف، ومحفوظات،ونصوص، تلقيها الأفواه لتتلقفها الآذان وتعيها الذواكر، ثم تحيلها إلى الألسنة لتعيد تكرارها واجترارها، إن من يتصور الأمر على هذا النحو ، قد أزرى بعقل الإنسان وجعل منه مطابقاً للجهاز الهضمي ، وأهان العلم وجعله مشاكلاً لفضلات الإنسان التي يهضمها ثم يخرجها .

وفي سياق متصل بكلامنا هذا ، أورد كمال الدين الأنباري في "نزهة الألباء في طبقات الأدباء":" قال سعدون: قلت للكسائي: الفراء أعلم أم الأحمر؟ فقال: الأحمر أكثر حفظاً، والفراء أحسن عقلاً؛ وأبعد فكراً، وأعلم بما يخرج من رأسه"[٦٤] وكأيّن من شخص شهير في ساحة العلوم، يقصده الطالبون، وتحتفي به القنوات والإذاعات،وما له من العلم إلا مسموعات محفوظة،ونصوص مكتوبة،وفصاحة جالبة، وبلاغة جاذبة، ثمَّ هو من العلم الحقيقي فارغ، وإلى الفقه الرباني فقير. فهذا نوع ما له من العلم إلا اسمه، فلم تخالط روحَه بهجةُ بركته، ولا مازجت نفسُه نورَ حقيقته .

[٦٤] نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٨٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نصيحة

لاترجُ الخير في من أظلم أصلُه، واستعجم فصله، وانفقد فضله.فإن كان ذلك كذلك؛ فأنت إلى القنوط من ظهور فلاحه، أولى بك من الأملِ في سُنوح صلاحه.فلا تذهب نفسك عليه حسرة، فقد قسَم الله بين عبادهِ، خيرَهُ وضُرَّه.

شرح

في الصحيحين من رواية أبي هريرة مرفوعاً واللفظ للبخاري :"**الناسُ معادنُ ، خيارهم في الجاهليةِ خيارهم في الإسلامِ ، إذا فَقِهُوا**"[٦٥]. جعل الله عياده على شكول متباينة، وصنوف متزايلة، وأمزجة متفارقة، وطبائع متخالفة ، في التنوع والتعدد، ففيهم النقي التقي، ومنهم الخبيث الشقي، وبينهم الطيب الصالح، وبإزائه السيء الطالح . كل هاته الصنوف تعيش على صعيد واحد وتقتسم وطاءً موحداً ، برغم اختلاف أديانها وطوائفها وتوجهاتها ومعايشها. وقد علم الناس صفات لو اجتمعت في واحد من الناس فاقطع أملك من اكتساب الخير منه، وابتُر اطلاعك إلى نوال النفع عنه،وقد ذكرتُ هنا منها أن يكون صاحب أصل مظلم أي مجهول لا يرجع فيه إلى أسرة شريفة محترمة، وإلى ذلك أن يكون بيانه وكلامه غير قويم ولا سليم ، وأن يكون خالياً من الفضل، فلا يكسب منه الناس شيئاً من وجوه الخير . فهذا الصنف لا تتعب نفسك في طلب سُنوح الخير فيه ، ولا رجاء النفع منه.

[٦٥] البخاري٣٣٨٣ و مسلم ٢٥٢٦ و أحمد٩٠٧٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما فاتك تحصيله فقد كُفيتَ مشقَّته

لا تبتئس بما يفوتك من متاع الدنيا؛ فما فاتك من شيء فقد سلمت من مؤونة احتقابه ، ومشقة تحصيله.وحسبك من الخير بهجة السلامة ونوالها، عن حسرة الندامة ووبالها.

شرح

بعدُ النظر وعمق التبصّر يعلماننا أن فوات بعض حظوظ الدنيا وفقدان بعض متاعها، ليس من أنواع الخسارة بل هو نوع من أنواع المعافاة؛ فما يحتقبه الإنسان من الدنيا إما أن يكون: حلالاً ، وإما أن يكون حراماً، وإما أن يكون ذا شبهة .

- فإن كان حلالاً فهو مما لا يحصل إلا بمشقة غالباً، ثم هو محلٌ للحساب والسؤال، فإن فات الإنسان تحصيله فقد ربح من راحته نصيباً هو في حاجة إليه.

- وإن كان حراماً فهو نكد في الدنيا وعذاب في الآخرة، ففواته خير وبركة.

- وإن كان ذا شبهة فهو قرين وقريب وخدين للحرام، ولا خير في رزق هذا حاله،فليس مصيبةً فوات شيء من ذلك ولنذكر قول ربنا تعالى﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[٦٦] ثم إن المكتسب للحلال يكفيه قليله، ورضاه به واكتفاؤه منه مجلبة للبركة فيه،مصداق ذلك ما ورد في مجمع الزوائد للهيثمي عن يزيد بن عبد الله مرفوعاً " **أن اللهَ عزَّ وجلَّ يبتلِي عبدَه بما أعطاه فمَن رضِيَ بما قُسِم له بارَكَ اللهُ فيه ووسَّعه، ومَن لم يرضَ لم يبارِكْ له**"[٦٧].فالرضى بما قسم الله للإنسان، علامة من علامات الإيمان وقد وعد النبي من استطاع ذلك بالبركة في رزقه ، كما في الحديث الفارط.وإلى ذلك يحسن استذكار ما روي مرفوعاً وموقوفاً والوقف أصح عن

---

[٦٦] الحديد:٢٣

[٦٧] مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/٢٦٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابن مسعود في العلل المتناهية، لابن الجوزي قوله" وارضَ بما قسمَ اللَّهُ لَك تَكن من أغنى النَّاسِ".وليس محل خلاف أن اشتهاء ما عند الغير، والتطلع إلى ما ليس في المُكنة نواله ، هو من جالبات الهم والكدر، لذلك نهى تعالى عن مثل ذلك في قوله الخالد﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٦٨] فرزق ربك -وإن قلّ - هو خير وأبقى ، من رزق الحرام الذي إن فتنتنا بهجةُ كثرته، وحلاوة وفرته، فالواجب تذكره شدة لسعته، وأليم حرارته. يوم يحور إلى مكانه الطبيعي وبئس القرار.

[٦٨] طه:١٣١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سنة الله في عباده وسنة الشيطان في أتباعه

أَنْ تختلف مع غيرك ، هذا أمر فطري. أن لا يوافقك غيرك، هذا أمر طبيعي؛ فسنّة الله في عباده حكمت بذلك.وأن تعادي غيرك لمحضِ مخالفتك، هذا أمر جاهلي . وأن يخاصمك غيرُك لعدم اتّباع رأيه، هذا أمر سفَهي؛ فسنّة الشيطان في أتباعه حكمت بذلك.فاعصمْ نفسك عن سنة الشيطان وفتنته. وأَلزِم ذاتك بسنة الرحمان وحكمته.

شرح

من أسمج وأسخف أنواع الخصومات ما ينشأ عن اختلاف الآراء وتضاد الأفكار، بين من خلافهم تنوعي لا تضاديّ، وما يقع من ذلك عند أحد إلا لخفة في عقله، ورقة في دينه، وسوء في طبعه، إذ إن أهل الكياسة والروية والحصافة في معزل عن معاداة من خالفهم لمحض المخالفة، وفي قلوبهم سعة تقبل وتمنح الآخرين حق المخالفة لما يقولون، وحق الانفراد بما به يقتنعون. هذا وإن من سنن الله في خلقه أنه خلقهم متباينين في أذواقهم، وأفكارهم وإمكاناتهم وأمزجتهم، وطبائعهم، وعند نظر الناظرين وتأملهم في الأفكار تقع المخالفة ،بقدر ما تقع المواطأة والموافقة، وفي كلا الحالين سنة الله ماضية ﴿ولا يزالون مختلفين﴾[٦٩]، فلا مسوغ لخصومة عن خلاف،ولا عداوة عن عدم اتفاق، إلا من طرف من تتلمذ للشيطان واتبع سنته في أتباعهم أهل الفتنة.

[٦٩] هود١١٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثقل الحمل بزيادة العقل

كلما خفّ عقلك ؛خف حملك، ونقص همك. وكلما زاد عقلك ؛ثقل حملك،وزاد همّك.

شرح

زيادة العقل تقتضي زيادة المسؤولية وتوسع التفكير وتضاعف الاهتمام وكثرة المشاغل، وكلها مظان ومصادر لمزيد من النصب والتعب في معاينة المشاكل في الناس، ومواجهة صنوفهم بما هم عليه من إقلاق وتعكير وإزعاج ،مما الشأن فيه أن يزيد الحمل ويوسع الهمَّ ،وعلى الضد من هذا فنحن نرى من قل عقله ، وانحجر تفكيره، وخف انشغاله، قد باء بمقدار من الراحة أكبر ، ونصيب من الهم أقل، فليس هو ممن عليه المعوّل في شؤون الناس ومشاكل حياتهم، ولا في التفكّر في معضلات الدنيا، وشواغل الفكر والمعرفة والعلم ونحو ذلك من الصوارف والمشاغل الثقيلة التي ابتلي بها أصحاب العقول .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النِّـيَّة

بغير صفاء الطَّويَّة، وصلاح النية؛ يكون الوليُّ في ظاهره ، محضُ دعيٍ أمام خالقه . والورِعُ أمام الناس، كالماجن أمام ربّ الناس.

شرح

حين شرع الله الشرائع وبين الرسل التكاليف، كان الشرط الأساس لقبولها أن يؤديها المكلّف خالصة محضةً لوجه الله، نقية عن وجه غيره ، بريئة عن طلب سواه. فإن فقد الإنسان خلوص نيته؛استوى ما يعمله والعدم، ولم يعد لكل ما يقدمه وزن عند الوزن، ولا قيمة عند التقييم، فيصير العابد المجهد نفسه المفْرِط في عبادته، في رتبة العاصي المفرّط فيها. ويصير المتورع ظاهراً،كالفاسق ظاهراً، لاستوائهما في افتقاد النية الخالصة، وعجز هما عن استقامة الباطن والظاهر. وفي هذا السياق قال مصطفى صادق الرافعي، في كتاب (كلمة وكُليمة):"الرذيلة الصريحة رذيلة واحدة، ولكن الفضيلة الكاذبة رذيلتان".حيث تنقلب الفضيلة المتزيّلة عن النية الصادقة، إلى رذيلة مضاعفة، باجتماع سوء القصد من جهة، والعمل المشوب المزيف من جهة أخرى.ولا يغيب عنا أن ما خفي عن الناس من بواطن المرائين، لا يخفى عن رب العالمين، فكلٌ في حساب الله وجزائه،وسابق علمه يظهر حسب واقع نيته وباطن ما يضمر، وإن خفي ذلك عن البشر أجمعين.لذلك سيكون أول من تسعّر بهم النار من هم بمقاييس الناس: شهيد وجامع قرآن،ومنفق ماله، هذا ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما خرجه ابن خزيمة من رواية أبي هريرة قال:"**حدَّثني رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ : إنَّ اللَّهَ تبارَكَ وتعالى إذا كانَ يومُ القيامةِ نزلَ إلى العبادِ ليَقضيَ بينَهم ،وَكلُّ أمَّةٍ جاثيةٌ فأوَّلُ من يدعو بهِ رجلٌ جمعَ القرآنَ ، ورجلٌ يُقتلُ في سبيلِ اللَّهِ ، ورجلٌ كثيرُ المالِ فيقولُ للقارئِ : ألم أعلِّمْكَ ما أنزلتُ علَى رسولِي ؟ قالَ : بلى يا ربِّ قالَ : فماذا عمِلتَ فيما عُلِّمتَ ؟ قالَ : كنتُ أقومُ بهِ أثناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ ، فيقولُ اللَّهُ لهُ : كذبتَ ، وتقولُ**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الملائِكةُ : كذبتَ ، ويقولُ اللَّهُ : بل أردتَ أن يقالَ : فلانٌ قارئٌ ، فقَد قيلَ ، ويؤتى بصاحبِ المالِ فيقولُ اللَّهُ : ألم أوسِّع عليْكَ حتَّى لم أدعْكَ تحتاجُ إلى أحدٍ ؟ قالَ : بلَى قالَ : فماذا عملتَ فيما آتيتُكَ ؟ قالَ : كنتُ أصلُ الرَّحمَ ، وأتصدَّقُ ؟ فيقولُ اللَّهُ : كذبتَ ،وتقولُ الملائِكةُ : كذبتَ ،فيقولُ اللَّهُ : بل أردتَ أن يقالَ :فلانٌ جوَّادٌ ،فقد قيلَ ذاكَ ،ويؤتى بالَّذي قتلَ في سبيلِ اللَّهِ ،فيقالُ لهُ : فيمَ قُتلتَ ؟ فيقولُ :أُمِرتُ بالجِهادِ في سبيلِكَ ،فقاتلتُ حتَّى قُتلتُ،فيقولُ اللَّهُ : كذبتَ، وتقولُ الملائِكةُ :كذبتَ،ويقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لهُ :بل أردتَ أن يقالَ :فلانٌ جَريءٌ : فقد قيلَ ذلِكَ ،ثمَّ ضربَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ علَى رُكبتيَّ ،فقالَ : يا أبا هُريرةَ أولئِكَ الثَّلاثةُ أوَّلُ خَلقِ اللَّهِ تُسعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يومَ القيامَةِ "[٧٠] .وقد كان أهل العم يجتنبون الأخذ والرواية عن المرائين،والمعروفين بتزيين ظواهرهم دون بواطنهم، ومن ذلك مايروى عن رَجاء بن حيْوَةَ -ت ١١٢ هـ - "أنه قال لرجل: "حدِّثنا، ولا تُحدِّثنا عن متُماوتٍ ولا طعَّانٍ". والمراد بالمتماوت من يظهر السكون والخشوع، والزهد، دون أن يكون صادقاً في ذلك.

[٧٠] ابن خزيمة ٢٤٨٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أمارات التوفيق

إن من أمارات التوفيق، وشعائر السداد أن يغتني الرجل بالقلة، ويكون في نُدحة عن فتنةِ الكثرة. فشذور الذهب هي أغلى ما يستبطنه الرُّغام[٧١].

شرح

لو وجدتَ في نفسك اكتفاء بالقليل من متاع الدنيا،وزهداً في التزيّد والاستكثار،فأنت في خير حال وإلى أطيب مآل،فهذا دليل على توفيق أراده الله لك ، وخير قد ساقه إليك فقد كُفيت بذلك جهداً ونصباً وكبداً يبذله طالبو المزيد، وراغبو العديد، وآملو البعيد،ممن يجهدون أنفسهم ويُشقون أبدانهم،ويسلخون أزمانهم في الاستكثار مما سيتركونه، ثم يرحلون ليحاسَبوا عليه، بعدما ورّثوه.

إن من توفيق الله أن يوفقك إلى خلق جليل من أخلاق المؤمنين ،وهو الرضى بما قسم الله، دون تذمّر من المعاش،ولا تنمُّر على الناس. ولا جرم أن من لقي في نفسه اكتفاءً بالقليل،وقناعة به، فإنه قد أريد به خيراً، وفي هذا نورد ما نقله الألباني في السلسلة الصحيحة من حديث إبي هريرة مرفوعاً "..**وارْضَ بما قسم اللهُ لك تكن أغنى الناسِ...**"[٧٢]

---

[٧١] الثرى- التراب –لسان العرب-

[٧٢] سنن الترمذي ٢٣٠٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحكمة

ربَّ تواضع يصير ضِعةً، وربّ ورعٍ يصير حُمقاً . والحكمة وضع كل خلة للإنسان في موضعها،وتصريفها بقدرها، بلا وكسٍ[٧٣] ولا شطط[٧٤].

شرح

اعتزاز المرء بنفسه،وأخذ النصيب من متاع الدنيا ،أمران شرعهما الشارع الحكيم،لكن من الناس من لا يفرق بين التواضع وبين الذل والاستكانة، ومن لا يفرق بين الورع وبين الحرمان.وكأيّن من بني آدم من يَقْسر نفسه على الحرمان،ويذيقها من صنوف التعسير،والتقتير، ما لو ألقيَ على أهل مدينة لأفقر جيوبهم ،وجلْمَد قلوبهم. وما ذاك منه على نفسه إلا لحمقٍ وجهل خالطا فكره ولابسا تقديره، فجعل يضيق على ذاته ويقسوا عليها،من حيث يحسب أنه مصاحب لفضيلة الزهد، ومصاقبٌ لشرف الورع.وقد غفل عن إشاد الشارع الحكيم في مثل قوله ﴿ولا تنسَ نصيبك من الدنيا﴾[٧٥].وقول الرسول الكريم فيما خرجه أحمد في المسند من رواية أبي هريرة، والترمذي في سننه من رواية جد عمرو بن شعيب، واللفظ للترمذي " **إن الله يُحِبّ أن يرى أثرَ نعمتهِ على عبدهِ** "[٧٦]

---

[٧٣] النقص –لسان العرب-

[٧٤] مجاوزة القدر –لسان العرب-

[٧٥] القصص:٧٧

[٧٦] أحمد ٨١٠٧ و الترمذي ٢٨١٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العُزلة

من تعلق بالناس أدركَهُ الإياس . ومَن آثر العُزلة، ضمِن العِزَّ له .

شرح

خلق الله الناس وسخرهم بعضاً إلى بعض ،وقال: ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾[٧٧]. فكانت أرزاق كثير منهم منوطة بأيدي كثير آخرين، ومصالح أغلبهم موقوفة على التعاطي والتبادل والتفاعل المبذول بين سالكي طرق الارتزاق،ومسالك الارتفاق. ولقد كرهت ونفّرت شريعة الله عن الاتكال المفرط،والتعلق الغالي بالناس ،بعيداً عن سعي النفس، وكَدِّ البدن، وجهد العقل:"**إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال**"[٧٨] فكان من معهود سنن البشر أن من اتكل على غيره،وجعل هجيره التواكل،أصاب من ذل المسألة ،وثقل الصدود ما يلقيه في أتون اليأس،أما من ضبأ إلى مفارقة الاتكال، وَوأل إلى حرم الاعتزال عن السؤال،فإنه لا ريب محصّل لشرف البراءة عن إهانة أهل المنّ،وإذلال أصحاب الإعانة.وقد روي من حديث عمر عند ابن حجر في الفتح"**العزلةُ راحةٌ للمؤمنِ من خلاطِ السوءِ**"[٧٩]. وفي مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً "**قالَ إذا رأيتَ النَّاسَ قد مرَجَت عُهودُهُم وخفَّت أماناتُهُم وكانوا هَكَذا وشبَّكَ بينَ أصابعِهِ قالَ فقمتُ إليهِ فقلتُ لَهُ كيفَ أفعلُ عندَ ذلِكَ جعَلَني اللَّهُ فداكَ قالَ الزَم بيتَكَ واملِكْ عليكَ لسانَكَ وخذ ما تعرفُ ودع ما تُنكرُ وعليكَ بأمرِ خاصَّةِ نَفسِكَ ودَع عنكَ أمرَ العامَّةِ**"[٨٠] لكن لا يغيب عنا أن نقول إن من رأى صلاح الناس في ترك

---

[٧٧] الزخرف:٣٢

[٧٨] صحيح ابن حبان ٥٧٢٠

[٧٩] فتح الباري –ابن حجر١١/٣٣٨

[٨٠] أحمد ٦٩٨٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عزلته، وجب عليه تركها ، ومن رأى أن لديه ما لو اعتزل لحرم منه الناس من خير وَعون ، ما جاز له الاعتزال.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلم الراسخ

العلم الراسخ يكون الحياد منطلقه، والبحث وسيلته،والسؤال مفتاحه، ومن غير منطلق، ولا وسيلة ،ولا مفتاح؛ يكون العلم مجرد أضغاث أحلام وركام أوهام.

شرح

كأيِّن من دعيٍ لابسَ طرف بعض العلوم، فتوهّم أنه صار فيها ومنها، وما نصيبه منها إلا كنصيب السحاب من التراب. وليس يمكن لطالب العلم أن يظفر بطِلبته إلا باعتمال منهج يسلكه،قوامه: سؤال يفتح له أبواب العلم،وبحث وتنقيب يفصح له عن مكنوناته، وحياد بإنصاف يشرع له صادق نتيجاته.وإذا ما خلتْ عِدةُ طالب العلم من حياد، وبحث ، وسؤال؛ فإني أضمن له الأوبة بركام من الأوهام التي قد يفلح الخيال في تصويرها له بصورة علم، في حين إنها ليست غير وهم لا يجاوز أثر الحُلم.وهذا مآل مضمون لكل من تنكب عن سلوك مهيع الحياد، وسبيل البحث والمفاتشة، ونهج السؤال ،الذي هو في حقيقته مفتاح العلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى المتكلمين باسم الله

إلى المتكلمين باسم الله،والمحتكرين دين الله،والمحتقرين عباد الله : اعلموا أن الإسلام أكبر من أن ينحصر في بضعة شيوخ ،وأن الشريعة أعظم من أن تنحجر في بضعة كتب، وأن الدين أشمل من أن ينحجز في بضعة مذاهب، وأن جنة الله أوسع مما صورتموها ،وأرحب مما ضيقتموها،وأن جهنم يُدخل اللهُ فيها من يشاء، لا من تشاؤون.

شرح

من مظاهر الخذلان، ارتكان كثير من أدعياء العلم وطلابه إلى قلب معيار معرفة الحق، وإدراك الصواب، حين جعلوا الرجال وأسماءهم وشهرتهم مقياساً للحق، ولم يجعلوا الحق مقياساً وحاكماً على الرجال،وقد أثر عن سيدنا علي قوله "اعرف الرجال بالحق،ولا تعرف الحق بالرجال".والمغضب والمؤسف أن هؤلاء يرددون هاته المقولة ويشرحونها ببليغ الكلام، وفصيح التعابير،وبديع العبارات، ويكتفون بذلك نظرياً ثم تراهم يحتكرون معرفة الحق والصواب ويرهنونه بمشايخ محدودة مخصوصة، وبأسماء معينة معدودة ادَّعوا أنها جمعت الصواب كله،وأن مخالفتها انحراف معادل للانحراف عما قاله الله وصرح به رسوله. إنه منهج عائل منحرف، يحمل في غضونه ادعاء العصمة لبعض عباد الله دون بعض، وانحصار الحق فيهم. ولقد نعلم أن من ثوابت ديننا –خلافاً لما عليه الشيعة- أنه لا عصمة ولا حجة في من دون رسول الله. وقد أثر عن الإمام مالك قوله:" كلٌ يؤخذ منه ويرد إلا صاحب هذا القبر"وأشار إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلّم. إن ذاك المسلك الضالّ فيه ردٌ لما قرره تعالى في قوله﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[٨١]

[٨١] الجمعة:٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالحق والصواب والعلم هي أفضال من الله تعالى،يتكرم بها على عباده،ولم يحدد أحداً دون غيره ليخصه بها ويحجزها عن سواه من المؤمنين، بل قسم الله فضله بين الجميع فكل يصيب منه ما قدّر الله له، فمنهم مكثر ومنهم مقلّ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تدَبُّر القرآن

طلب الله تعالى من المؤمنين تحقيق التدبر في القرآن بعد مرحلة السماع والإنصات؛ولم يحدد منهجا مخصوصا لذلك التدبر.فلم ينصَّ على استبطان[٨٢] النص،ولا استظهاره،ولا تفكيكه،ولا تركيبه،ولا تشريحه،ولا ترميزه،ولا تأويله.إنما طلب التدبر المعادل لمعنى التأمل المركز بطبيعة عقلية،فطرية سمحة،لا تَكلُّفَ فيها، ولا تعسّف، تحت أضواء النصوص النبوية.فهي-بذلك- عملية تدبُّر غير غائمة،ولا عائمة،ولا عادمة.

شرح

لم يزل القرآن مكنزاً يقصده الطالبون، وشرعةً يمتاح منها الواردون، وبرغم اتساع سواحله ،وبراح فنائه، لم نعدم من يحجر ويضيق براحه، بادعاء مناهج مخصوصة، ومقاربات محدودة يزعم لها الوفاء باستحلاب أكبر قدر من فوائده،وفرائده.في حين أن رب العالمين لم ينص على منهج بعينه ولا سبيل دون سواها يطرقها طالب الهداية، ومريد الخير من وسط القرآن، إنما طلب الله تعالى وأرشد عباده إلى ما سماه التدبر، فقال تعالى﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [٨٣] وقال مخاطباً نبيه ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[٨٤]. وذلك بعيداً عن تكلف المتكلفين،وتقعّر المتقعرين،وتجمد الجامدين،وغرور المحْدثين،وتنكّب المثبطين،إنه في الجملة كلام سهل ،سمح،جلي،نقي،بهيٌّ،رضيٌّ،عليٌّ،لا يحتمل أن يوصد أبوابه

---

[٨٢] استبطن أمره : وقف على دخيلته-القاموس المحيط-

[٨٣] محمد:٢٤

[٨٤] ص:٢٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجامدون ،ولا أن يفلت زمامه المنفلتون،ولا أن ينتهك ساحته المتطفلون،ولا أن يزعزع متانته المتهوكون،ولا أن يغطي نصاعته المُغربون.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غرور التدين

الغرور أنواع ،ودركات.ومن أشرّ ،وأشطّ،وأشقّ،وأشدّ،وأشذّ أنواعه "غرور التدين" الذي من مظاهره أن تجد قوما لا يترددون في إخراجك من الجنة قبل أن تدخلها،وإدخالك النار قبل أن تبصرها.وكأن الجنة ميراث أبنائهم، والنار ملك آبائهم.

شرح

الغرور حالة تصيب الإنسان ؛فتُسكنه في عالم افتراضي غير واقعي ذي تصورات تمويهية ،ومعطيات تهويمية[٨٥]،قوامها إكبار المصاب نفسه وإحلالها محلاً أعلى مما هي عليه،وأشرف مما هي فيه،والإزراء بمن سواه،والاستهانة بمن عداه. وبرغم تحذير الدين وشريعته من الغرور ومقدماته،فقد وقع فيه كثير ممن التزم بمظاهر التدين، ولابس ظواهر الشرع،حتى إذا رأوا من أنفسهم شرفاً،زينت لهم نفوسهم أن أغيارهم دون قدرهم،وأن سواهم تحت شأنهم،ونصّبوا أنفسهم في مقامات أولياء الله وأحبائه، وأهله وأصفيائه،حتى اجترؤوا على صلاحيات الله تعالى فدأبوا على تصنيف الناس،والحكم عليهم،هداية وضلالاً،بل عجّلوا لهم العقوبة في الدنيا قبل مغادرتها. وما هم بذلك إلا محتقبون لشرٍ أركسهم فيه غرور تدينهم،وأوبقهم عنده ضلال توهّمهم. ولقد نعلم أنهم ليضيقون على عباد الله ، ويحكمون عليهم في دنياهم بالضلال والعصيان والابتداع ،وقد غفلوا عن أن الحكم كله لله ،الذي لا يرضى أن يقاسمه سلطانه أحد من عباده،فكيف بمن يجعل نفسه وطائفته حكاماً على عباد الله. ومما يحسن التذكير به هنا ما خرجه مسلم في صحيحه من رواية جندب بن عبد الله"أنَّ

[٨٥] التهويم:النوم الخفيف-لسان العرب-

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رجلًا قال: واللهِ لا يغفِرُ اللهُ لفلانٍ . وإنَّ اللهَ تعالَى قال :من ذا الَّذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفرَ لفلانٍ . فإنِّي قد غفرتُ لفلانٍ؟ وأحبطتُ عملَك .."[٨٦]

[٨٦] مسلم٢٦٢١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صواب الله،وَزيف الهوى

من الناس من تراه إلى الباطل مائلا،وعن الحق عائلا.يرقب من غيره نصرةَ باطلهِ المرسوم في خاطره، على غير ما هو عليه في واقعه.ويبصِر من نفسه ازورارًا[٨٧] عن حق يراه بعينَيْ هواه باطلاً ،لا يبتغيه مقارنًا،ولا يرتجيه مقارفًا[٨٨]؛فالأمر عنده انعكس،والواقع لديه انتكس.فتبًّا لمن استبدل بصواب ما زينه الله، ضلال ما زيفه هواه.

شرح

من أمارات خذلان الله لبعض عبيده ،أن يوبقهم في دركة انطماس البصيرة،وَرين القلوب ،أولئك الذين قال فيهم﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[٨٩] ممن استحقوا أن يقول فيهم﴿أولئك كالأنعام بل هم أضلّ﴾[٩٠]،إنها مرحلة من الضلال يصير فيها العبد المبتلى في حالة عماء داخلي وخارجي، من الداخل بانطماس قلبه،ومن الخارج بانحراف سلوكه ،إنها حالة يصير فيها الحق باطلاً بعين الهوى،والباطل حقاً بعين الهوى؛ لذلك فكل من احتكم إلى الهوى فقد هوى .

---

[٨٧] الازورار عن الشيء:العدول عنه- الصحاح في اللغة-

[٨٨] المقارفة: المقاربة – العباب الزاخر-

[٨٩] المطففين:١٤

[٩٠] الأعراف:١٧٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أربعة بأربعة

الإنشغال بتتبع المعايب،وترصد الأخطاء،وتصيّد الهفوات،ونشر الزلات،أمارات قاطعاتٌ علَى: سفالة في الخُلُق،وجهالة في العلم،ووهن في الدين،ومرض في النفس.فلا ينشغل بتلك الأربعة إلا من أصابته هذه الأربعة.

شرح

إن النفس لتمرض،وإن الدين ليضعف،وإن الجهل ليطغى،وإن الخُلق ليسفُل. إنها بلايا تصيب الإنسان في قلبه وسلوكه،فتبدر عنه ومنه سلوكات عائلة مائلة،ومؤذية ماحلة ،هي شغل النفس بمعايب العالمين،والاستمتاع بنشرها،وكذا ترصد أخطاء الآخرين، والاستيناس بفضحها،وتصيد ما يبدر عنهم من هفوات،لنفثها وبثها وسط الغافلين عنها؛لإرضاء نفس مريضة مسيخة، ثم إذاعة زلل من زلّ ،دون تحرّج ولا مندم. لقد حكم هؤلاء على أنفسهم قبل غيرهم بهتك الستور والحرمان من ستر الله لهم في الدنيا والآخرة، هذا ما يُفهم بمفهوم المخالفة من قول نبينا صلى الله عليه وسلم فيما خرجه ابن ماجة،والهيثمي في مجمع الزوائد من رواية أبي هريرة مرفوعاً: " **مَن سترَ مُسلِمًا سترَهُ اللَّهُ في الدُّنيا والآخِرةِ** "[٩١] . والحال أن ما يسلكه أولئك المخذولون هو من أمارت سوء الخلق وسفالة الأصل، أما أشراف الناس وفضلاؤهم فهم على نحو خلق أبي بكر الصديق القائل فيما روي عنه:" لو لم أجد للسارق والزاني وشارب الخمر إلاَّ ثوبي،لأحببتُ أن أستره به"

[٩١] ابن ماجة ٢٠٧٨ والترمذي ٢٩٤٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

احترام المخالف

حين ترى الآراء التي لا تعجبك ضلالات،والأفكار التي لا تقنعك خيالات، والأقوال التي لا تعلمها شذوذات.فاعلم -وإن لم تُصدِّق- أنك في بحر الضلال غاطس، وفي لجة الخيال غائص. وأن مناط نجاتك في احترامك من خَالفك، بقدر احترامك من حَالفك.

شرح

من أجلى علامات ضلال الإنسان،اغتراره برأيه،وإزراؤه بمن خالفه،وعجزه عن احترامه. ثم عجزه عن تصور إمكانية بُدور الصواب من غيره،وسُنوح الصحة من سواه،وكأن الحق موكول إليه،والسداد مكتوب عليه،وحده لا شريك له. والحق أن السداد والإنصاف في بذل الاحترام لمن خالف لك-بعلم- رأياً،أو اجتهاداً،لأن له من الحق في التفكير ،ما لك منه،ولك الحق في التعبير ،ما لك منه،فلست أولى منه بأن تفكر،ولا أن تعبّر. ثم الحكم والجزاء فيما بعد بينكما لله رب العالمين.أما تمحيض الوداد للموافقين لموافقتهم،وتجريد النصرة للمواطئين ،لمجرد مواطأتهم،فما هو من خلق العادلين ولا نهج المنصفين،إذ العدل والإنصاف يقضيان بحسن السلوك ،وبذل المعروف للمحالف والمخالف،وأن لا يفسد الخلاف المودّة بين طرفيه،ولا أن يعكِّر الصفاء بين شقيه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طالب العلم الدعيّ

إذا وجدت طالب العلم حاجزا أدبه عنْ مَن خالفوه،وحاجرا احترامه دون من عارضوه،وحارما وِداده من لم يوافقوه؛ فاعلم أن علاقته بالعلم علاقة سِفَاح.

شرح

ليست تصح نسبة العلم إلى طالبه،ولا صلته بمدعيه،إلا إذا أرخى أطراف الاحترام على من لم يوافقه في اجتهاده،وأبدى شواهد الأدب لمن فارق رأيه وترك موافقة فكرته،لأن العلم الحقيقي لا يمنع التوادد بين المتخالفين،ولا يحجر الاحترام بين المتفارقين،ولا يحجز التأدّب مع المتعارضين. فكلٌ مسؤول عن فكره ورأيه،وما جعل الله لنا سلطاناً على من خالفنا برأيه وفكره إلا سلطان البلاغ،والتذكير،والنصيحة **حيث قال سبحانه**﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾[٩٢]. **وقال أيضا** ﴿فذكر إنما أنت مذكر* لست عليهم بمصيطر﴾[٩٣]،وفي الحديث الشريف"**الدين النصيحة...**"[٩٤].

[٩٢] النور:٥٤

[٩٣] الغاشية:٢١-٢٢

[٩٤] مسلم:٥٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بئست القلوب تلك

كثير في الناس من تفيض بمعاني الاحترام كلماتهم ،وتطفح بمعاني الحياء قسَماتهم ،وما لهم من كليهما شَروى نقير،ولا زنة قطمير؛ فما كان احترامهم إلا مصطنعًا خارج جدران القلوب، وما كان حياؤهم إلا متكلفا وراء أستار النفوس.فبئست القلوب العاجزة عن الاحترام،وتعست النفوس القاصرة عن الحياء، المجترئة على الاجترام.

شرح

من أبرع ما يحسنه الناس مزاولة النفاق الاجتماعي، باصطناع وجوه باسمة،وألفاظ رقيقة،وحركات رفيقة،حال انطواء نفوسهم على شرور عميقة،وكوامن غريقة،غائصة تحت شغاف قلوبهم،لو ساح بعضها في نهر عذب،لصار ملحاً أجاجاَ. أولئك قوم هم صنيعة النفاق وصانعوه،وأربابه وناشروه، ليس لهم من شرف الخصومة عشْر ما لمن صارحك بالعداوة،وكافحك بالجفاء.لذلك كان من حكمة الله تعالى أن يحجز الدرك الأسفل من النار للمنافقين،تحت المشركين،والكافرين﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾[٩٥]

[٩٥] النساء:١٤٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نحن والله

حين قال لنا الله تعالى﴿واعتصموا﴾[٩٦] تركنا الاعتصام وآثرنا الانقسام.وحين قال لنا ﴿ولا تفرقوا﴾[٩٧] تفنّنا في التّفرّق والتّغرّب والتّشرّق.وحين قال﴿فلا تهنوا﴾[٩٨] انغمسنا في الترديو الهوان. وحين قال﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[٩٩] أبدعنا في التآحن والتعادي،وجعلنا الأخوة مجرد حكايا تروى عند السالفين،وتُحكى للخالفين،فتُعْجبُ السامعين،وكلّ يرى نفسه فيها،وهي مبتورة الصلة بهم، ومقطوعة الطريق إليهم.

---

[٩٦] آل عمران - الآية ١٠٣{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا ۚ وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَ كُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.}

[٩٧] آل عمران الآية ١٠٣

[٩٨] محمد - الآية ٣٥{فَلَا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَ أَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللَّهُ مَعَكُمْ وَ لَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}

[٩٩] الحجرات - الآية ١٠{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شر الناس

شرُّ الناس من لا ينفع الغير،ولا يقربُ الخير،ويستمرئ الضّيْر. فإن احتاجك أطال وقوفه،وإن احتجتَه حجبَ معروفه.

شرح

في الناس صنف هو من الشرّ على ثبج ظاهر،ومن الثقل بمحل ناهد،لا خير في قربه منك،ولا في اقترابك منه،ذلكم الذي لا يبدر عنه نفع لغيره،الحاجز معروفه عن المحتاج،المثقل بوقوفه عند الاحتياج،المستمتع بمضرة الأغيار،ومصارمة الأخيار.لا جرم أن هذا الضرب من الناس هو شرهم .فإليك عنه .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكتاب الناجح

الكتاب الناجح المثمر ليس الذي يقدم لك إجابة على سؤالات عقلك. بل الذي يوفر القدرة لعقلك؛ليُجيب عن سؤالاته.

شرح

ما يسطره الناس من مكتوباتهم كثير،وما يبثونه من مسطوراته غزير،بيد أنه ككثرة الناس،وغزارة عديدهم،فهم كما ورد في صحيح البخاري والأوسط للطبراني من رواية ابن عمر واللفظ للبخاري"**إنَّما النَّاسُ كالإبلِ المائةِ ،لا تكادُ تجِدُ فيها راحلةً**"[١٠٠] بهذا شبههم سيدي رسول الله،والأمر ذاته مع الكتب المكتوبة،فعلى غزارة عديدها،لسنا نرى منها نافعاً إلا القدر القليل،ولا المثمر إلا النزر اليسير،ومن أهم علامات الكتاب الناجح،والمكتوب المجدي أن يغني العقل ويجلو صدأه ويستثير إمكاناته ويوقظ مواهبه حتى يجعل فيه ومنه القدرة على التفكر والتدبر وحسن الاستنباط ودقة الربط وبراعة التحليل،مما هو من المواهب المودعة لدى الإنسان،مما الشأن فيه أنه بحاجة إلى من يظهره ويبرزه وهي مهمة لا يقدر عليها إلا الكتاب الناجح،الذي لا يكتفي بسرد المعلومات،وإيراد المنصوصات الجاهزة.

[١٠٠] البخاري ٦٤٩٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مناط نجاح المفكر والكاتب والقارئ

المفكر الناجح شرطه امتلاك القدرة على التفهّم،والكاتب الناجح شرطه امتلاك القدرة على الإفهام،والقارئ الناجح شرطه امتلاك القدرة على الفهم.ومن لم يكن واحداً من هؤلاء فلا صلة له بعالم العقلاء .

شرح

ما يحتاج مني لتفسير --هنا- هو مقصدي بكلمة (التفهم) فأنا استعملتها على غير دلالتها العامية الشائعة،إنما قصدت بالتفهّم القدرة على استيعاب المتخالفات،واستطاعة التعامل مع الأفكار المخالفات،وإحسان ممارسة التعايش المعرفي.إن كلمة التفهّم لم تصل بعدُ إلى مرحلة صيرورتها مصطلحًا،فهي لا تزال تستعمل بدلالة شائعة،وأنا أستعملها بدلالتها التي أبنتها قبل قليل فإن لقيَتْ قبولاً واستعمالاً ضافياً؛فستصل يوما إلى مرحلة المصطلح،وستكون لها ساحة معرفية محددة .

وعلى كل حال فإن عالم المعرفة والعقلاء،ليس يقبلان سوى من استطاع تحقيق الفهم والإفهام والتفهّم،كل في مجاله وبما يبذل لمشاكليه من العقلاء،أو طالبي العلم والمعرفة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نوعا الإدراك

الإدراك نوعان : إدراك لما هو في نطاق الإدراك،وإدراك للعجز عن إدراك الخارج عن نطاق الإدراك. لذلك واعترافاً بمحدودية قدرات العقل؛قيل إن العجز عن الإدراك إدراك.

شرح

إدراك الإنسان نوع من المعرفة التي آتاها الله لعباده،وبحسب ما أتيح لبني آدم من قدرة إدراكية، فقد عجز عن الوصول إلى قدر كبير من الموجودات والمعارف المكتومة عنه،والمحجوز عنها، مما اختص الله بمعرفته أو أتاحه لبعض عباده،دون سائرهم. فما كان في نطاق الإدراك فقد أمكن تحصيل العلم به بوساطة الحواس،وما استعصى عن قدرة الحواس فهو الخارج عن نطاق الإدراك. وحين يعرف الإنسان أن إدراكه قد قصُر عن بلوغ ما خرج عن حدوده،فقد حصّل نوعاً آخر من الإدراك وهو اليقين بالعجز عن بلوغ ما خرج عن نطاقه.وهذا النوع هو من أنواع المعرفة الإيمانية التي تسلّم بالعجز عن المعرفة،لا عن قصور في العقل ،بل عن تمام من الإيمان. ويروى عن الصديق أبي بكر قوله:"العجز عن درك الإدراك إدراك". كذلك يروى عن سيدنا الإمام علي قوله شعراً:

العَجْزُ عَنْ دَرَكِ الإدْرَاكِ إدْرَاكُ	وَالبَحْثُ عَنْ سرِّ ذات السرِّ إشْرَاكُ
وفي سَرائرِ هِمَّات الورى هِمَمٌ	عن دركها عجزت جنٌّ وأملاك .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حدود العقل

برغم أن العقل هو أشرف وأرقى ما خلق الله،فإن له حدوداً لا يتجاوزها، وحين يعجز العقل عن بلوغ ما هو فوق قدرته،فذلك ليس دليل نقص فيه بل هو إشارة إلى وصوله لقمة إمكانياته،التي لا يأتي بعدها إلا ما هو من مخصوصات الخالق تعالى الذي لو سمح للعقل بالوصول إليها ؛لتساوت معرفة الخالق والمخلوق،وهيهات اللحوق.

شرح

إن عجز العقل عن دَرك ما غيبه الله عنه،ليس بقدح فيه،وليس بأمارة على ضعف قدراته، بل توكيد على أن له حداً أراد خالقه منه أن لا يجتازه،لذلكم فنظر علماء الطبيعة إلى القصور العقلي ليس منصفاً،فما يرونه قصوراً عقلياً،هو في واقعه أعلى ما أمكن أن يصله أشرف المخلوقات،وليس ذلك بضعف ولا نقيصة،فعجز الطفل ذي السنوات الثلاث عن حمل ما يستطيعه البالغ ذو الثلاثين،لا يسوّغ عقد مقارنة بينهما ولا الحكم على الطفل بأنه ضعيف،ولو سمح الله للعقل بتجاوز حدوده، لحدث الانتهاك لحرمة العلم الإلاهي المخصوص بجناب الخالق تعالى وتبارك.لذلك فالقصور والعجز في هذه الحالة كمال وقدرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا تتكلم قبل أن تتعلم

لا تتكلم قبل أنْ تتعلم؛ فكلام العاقل يظهر فضله، وكلام الأحمق ؛ يكشف جهله.

شرح

إن للكلام لشهوةً، وإنه لمُحْدِثٌ للذَّات لا يحسها إلا أهل الثرثرة، ولا يفتتن بها إلا منفلت اللسان. وإن للصمت للذة لا يحس بها إلا أهل الرزانة والروية، ومن اكتملت عقولهم ، ونضجت فهومهم. وعلى كل حال لا يحسُن بالإنسان، أن يكون رهناً بما يُخرجه لسانه، فالإنسان موقوف على مخرجات اللسان، فرب إنسان قارب الشرف بما قاله لسانُه؛ فناله ،ورب آخر نال الهوان بما جرّه عليه لسانه ، وكم من ميّت لقي حتفه من تحت لسانه، وكم من منعّم نال نعيمه بما أخرجه لسانه.وفي كلامي الفارط نصح لمن غلبته شهوة الكلام،وفتنة الحديث، ولمّا يرتقِ في مراتب العلم والفقاهة، فمثله لا يحسن به الكلام إلا لحاجة أو سؤال، إلى أن يتعلم ويتفقه وينال من العقل حظاً وافراً ، حينها يحق له أن يتكلم فيفيد بما يقول، وحينها يكون كلامه كاشفاً عن شرفه وسعة علمه، لا كالجاهل الذي يكون كلامه فاضحاً لما ستره من عورة جهله. لأجل ذلك فنحن نجدد توكيد أن السكوت سترٌ ، لمن غلبه الجهل، ولو لم يكن للسكوت إلا هذه المزية لكفاه فضلاً. وقد قلتُ -قبلاً-: سكوت الجاهل وقاية ،وكلامه جناية،وسكوت العالم جناية، وكلامه وقاية.

ولقد تقرر أن السكوت صفة لأهل الكياسة رئيسة ،وأن كثرة الكلام أمارة لأهل الحماقة خسيسة.ولقد طفحت كتب الحديث بأحاديث شريفة توكد فضيلة الصمت، وجريرة كثرة الكلام. فمما يؤثر في هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما خرّجه البيهقي في شعب الإيمان بسنده مرفوعاً "**إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لِسَانِهِ "[١٠١].وقد خرّج الدارمي (٢٦٦٧)، وأحمد في المسند (٦٣٠٨) من رواية عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مرفوعاً" **مَنْ صَمَتَ نَجَا**".ولو لم يكن للصمت من مزيّة إلا أنه من مزايا سيدي رسول الله لكفى ، فقد ورد عند أحمد في المسند (٢٠٣٠٤)عَنْ سِمَاكٍ قَالَ: "**قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: " نَعَمْ، وكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ، وكَانَ أَصْحَابُهُ يَذْكُرُونَ عِنْدَهُ الشِّعْرَ، وأَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَيَضْحَكُونَ، ورُبَّمَا تَبَسَّمَ**". وقد روي في كتاب "روضة العقلاء" من كلام ابن حبان قوله: "الواجب على العاقل أن يلزم الصمت؛ إلى أن يلزمَه التكلُّم ؛فما أكثر من ندم إذا نطق، وأقل من يندم إذا سكت".

[١٠١] البيهقي:شعب الإيمان ٤٧١٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نحن والنبي

أراد نبينا –عليه السلام- من المسلمين الاجتماع ؛ فتفرقوا. وحبّب إليهم الاتباع؛ فتبدّعوا. وزيَّن لهمُ الاتحاد؛ فتصدَّعوا.وحين تقدمت الأمم ، تأخرتْ أُمتهم. وحين تطورت العوالم، تجمد عالمهم. ولولا ما بقي فيهم من نور الإسلام، وشريعة القرآن؛ لما استحقّوا أن يحسَبوا في العقلاء، ولا بين الأحياء.

شرح

أُصور هنا- المآل الذي صارت إليه أمة المسلمين، وحارتْ إليه طوائفهم ، وخارت فيه قوَّتهم، وجارت به جماعتهم على تاريخها الساطع ، وسالِفها الناصع . وليس هذا بعجيب في معهود السنن الكونية، كما أنه مآل متوقع، ولا سيما أن سيدي رسول الله –عليه الصلاة والسلام- قد أشار إلى تحققه في غيرِ مَا حديثٍ من أحاديثه الشريفات، من ذلكم -مثلاً- ما خرّجه أبو داوود في سننه، من رواية ثوبان مرفوعاً "**يوشك الأممُ أن تَدَاعى عليكم، كما تَداعى الأكَلَة إلى قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن . فقال قائل : يا رسول اللهِ وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت**"[١٠٢] .

ولسنا –هنا- في مقام يحتمل تفصيل القول في مباعث هذا المآل، لكنْ يكفي أن نجزم بأن ما آلت إليه أمتنا ، هو منها قبل أن يكون من غيرها، وقد قال ربنا﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾[١٠٣] فقد استهانت بما رأته من ابتداء

---

[١٠٢] برقم ٤٢٩٧

[١٠٣] الشورى:٣٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انتقاض عرى هذا الدين منذ قرون طويلة، بإغضاء الناس عن شرائع الدين وأحكامه، واطّراحهم وصايا نبيهمْ ظهرياً ؛ فانشغل الحاكمون بحكوماتهم، وصراعاتهم، ودنياهم، وانشغل العوام بمعاشهم وعوائلهم، وانشغل العلماء –حاشا الأقل– بخصوماتهم الواسعة، ومسائلهم الضيقة ، وبذلك انشغل أولُوا الأمر بغير ذي أمر . وبقي قلة من أهل الخير والحميَّة ، لكنهم لم يقدروا على حمل الأمانة منفردين، دون معاضد ولا معين، فمن لديه القوة لا خير فيه، ومن فيه الخير لا قوة لديه.

وفي سياق متصل بما نحن فيه خرج مسلم في صحيحه من رواية أبي هريرة مرفوعاً "**بدأَ الإسلامُ غريبًا، وسيعودُ كما بدأَ غريبًا، فطوبى للغرباءِ**"[١٠٤]

وها قد صار المسلمون إلى حال بئيس، اضطُرَّ فيه كثير منهم إلى الاستخفاء بدينهم، والاستسرار بشعائرهم، مخافة أن ينالهم الضُّر، ويصيبهم الأذى، لشدة الهوان الذي بلغته هذه الأمة، ضمن غربة جديدة طارفة، تجدد ذكرى الغربة القديمة السالفة.

[١٠٤] برقم ١٤٥، وهو كذلك عند الهيثمي في مجمع الزوائد .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نحن والقرآن

شرفنا الله -تعالى- بالقرآن ؛ فكان خاتمة رسالاته، ومستودع آياته، وحافظ تشريعاته، وحين استقرّ بيننا ؛ فارق الكُفوف، واستوطن الرفوف .ورأيناه كتاباً مقدساً يجب حفظه، ولم نره تشريعاً مقدساً يجب تطبيقه.وانغمسنا في مسابقات التلاوة والحفظ، وهجرنا مسابقات الاتباع والعمل. وصار عند الأكثرين تحفة للتعليق، لا دستوراً للتطبيق، وبرعنا في تزيين وتجليد أغلفته، وقصّرنا في تحفيظ وتحيين أقضيته .

شرح

إننا نمارس كل يوم مظاهر هجران القرآن، ذاك الكنز الخالد الذي أكرمنا الله به ، وجعله نوراً للعالمين. ولقد نعلم أن سيدنا رسول الله- صلوات الله عليه وسلامه- قد شكا شكاةً قديمة سجلها القرآن في سورة الفرقان لعلها تكون ذكرى وموقظة للغافلين حين قال تعالى﴿وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾[١٠٥] .

ومما يُروى عن عبدالله بن مسعود موقوفاً : " **القرآن شافع مشفّع، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار** "

وما أوردته في المتن المشروح هو بعض مظاهر الهجران التي يقبُح من المسلم أن يجترحها، أو أن يواطئ من أدمنها . فهي من أمارات تضييع الأمانة التي أؤتمن عليها أهل هذه الأمة؛ فما رعوها حق رعايتها .

فمن صور تضييع هاته الأمانة أن أهل المال، والحكم، إذا أرادوا إظهار تبجيل القرآن، فإنهم يغدقون الأموال على طباعته طبعات فاخرة مُرَوْنقة ، مزركشة ومذهّبة أو أن يتعلق بَذلهم بشكليات ومظاهر وأنشطةٍ باهرة في مظهرها، وبائرة في مخبرها. دون أن يجعلوا من وَكَدهم، ولا في سعيهم العمل إلى تطبيق أحكامه، وتحقيق مطالبه، ونشر الوعي به، وبوظيفته الحقيقية التي أرادها مُنزلُه، وقصدها مُبَلّغه .

---

[١٠٥] الفرقان:٣٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا جرم قد أكثر الله تعالى من التنبيه إلى أهمية القرآن وآثار الاستهانة به، ولنا أن نذكر بقوله﴿فَإِمَّا يَأتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى*وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى*قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَي وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾[١٠٦].

ومما يجب ذكره في هذا الباب توكيد أن القرآن هو حجة الله على عباده ، فإما أن يكون لهم ، وإما عليهم. وفي هذا المعنى قال سيدي رسول الله عليه الصلاة والسلام ، في ما خرّجه مسلم في صحيحه ، من رواية أبي مالك الأشعري يرفعه " **القرآنُ حجة لك أو عليك** "[١٠٧].

[١٠٦] طه ١٢٣-١٢٦

[١٠٧] صحيح مسلم ٢٢٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قافلة المصنف

بحمد الله وبإذنه أُقفل- هنا- ما افتتحتُه باسمه، ونسجْتُه بعونه،وختمتُه بفضله. فقد ساغت لي كلمات، وسالت عبارات، ضمّنتها من المعاني ما رأيت فيه رشاداً، وما آنَسْتُ منه سداداً، وما بسقَ لي فيه صلاح، وما سنح لي منه فلاح . مما أمّلتُ فيه أن ينير بصائر قوم آخرين، ويشرح قلوب القارئين من طالبي الحكمة ، وراغبي الإرشاد .

فإن كنتَ منهم ورأيت ما انشرح له صدرك، فلا تحجز عنا دعاءك، وإن كنتَ غير ذلك،فتجاوز عن ما ساءك . وحسبيَ من غنيمة العمل سلامة الطوية، وصفاء النية.

وأختم بقولي:

ولستُ اليوم أحسبني حكيمًا ولا شيخاً يوافقُه السَّدادُ
ولـكنِّي أقولُ القولَ عفْواً فيحسُن ثم يكسوهُ الرشاد
بفضل الله ليس بجُهدِ نفسي فلا نصبٌ لديَّ ولا سُهاد

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

كتبه أبو تميم: خالد إبراهيم المحجوبي

(ليبيا)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

مقدمة الدكتور محمد مصطفى الكنز ٤
مقدمة المصنّف ٧
بين يدي الكتاب مقدمة جامع الكتاب ومخرجه ٩
احذر من نفسك ١٢
إقبال الدنيا وإدبارها ١٣
المتشبّع بما لم يُعط ١٤
من شر خلق الله ١٦
الشرف ١٧
الجاهل ١٨
الأحمق ٢٠
بين الشجاعة والإخلاص ٢٢
نفع الناس ٢٣
قصدُ الصواب ٢٥
استثمرْ عقلك ٢٦
لا يغرنك المظهر ٢٧
أولى خطوات طريق الكمال ٢٨
دعوة إلى التجديد ٢٩
انتبه يا طالب العلم ٣١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لذة طلب العلم ٣٢
قلب الحياة ٣٤
بين أخطاء العاقل وأخطاء الأحمق ٣٥
رجال في ورق ورجال من ورق ٣٦
مواقد العزة ٣٧
حرية التعبير ٣٨
الروح والجسد ٣٩
مصيرالإنسان ٤٠
معرفة الهدف لا تكفي ٤١
بين العزلة والاختلاط ٤٢
بين العيش والحياة ٤٣
أعجب مخلوقات الله ٤٤
بين الإرادة والدراية ٤٥
الإهانة أقوى من العقاب ٤٦
إرضاء الناس ٤٧
مخالطة الأدعياء ٤٨
التواضع والتكبر بين اللغة والحقيقة ٤٩
شرط المعرفة ٥٠
رُبَّ فشلٍ خيرٌ من نجاح ٥١
حقيقة المصلحة والمصالح ٥٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خطأ العاقل وخطأ الأحمق ٥٣
الحياة خمسة أيام ٥٤
أنت والآخر ٥٥
حقيقة العلم ٥٦
نصيحة ٥٧
ما فاتك تحصيله فقد كُفيتَ مشقَّته ٥٨
سنة الله في عباده وسنة الشيطان في أتباعه ٦٠
ثقل الحمل بزيادة العقل ٦١
النِّـيَّة ٦٢
من أمارات التوفيق ٦٤
الحكمة ٦٥
العُزلة ٦٦
العلم الراسخ ٦٨
إلى المتكلمين باسم الله ٦٩
تدَبُّر القرآن ٧١
غرور التدين ٧٣
صواب الله،وزيف الهوى ٧٥
أربعة بأربعة ٧٦
احترام المخالف ٧٧
طالب العلم الدعيّ ٧٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بئست القلوب تلك ٧٩
نحن والله ٨٠
شر الناس ٨١
الكتاب الناجح ٨٢
مناط نجاح المفكر والكاتب والقارئ ٨٣
نوعا الإدراك ٨٤
حدود العقل ٨٥
لا تتكلم قبل أن تتعلم ٨٦
نحن والنبي ٨٨
نحن والقرآن ٩٠
قافلة المصنف ٩٢
فهرس الموضوعات ٩٣

هذا الكتاب منشور في